في الفكـر والحيـاة

في الفكر والحياة

إيهاب العرشي

في الفكـــر والحيـــاة

اسم الكاتب: ايهاب العرشي
تدقيق لغوي: عبدالله أسامه
تصميم الغلاف: عمرو أنور
الإخراج الفنيّ: جمال عبدالرحيم
الطبعة / الأولى
رقم الإيداع: ١٤٠٩٥ / ٢٠١٨
طبعت بمطبعة الشروق

حقوق التوزيع

Facebook.com/arabiclibrary2017

إعتذار

أستسمح العذر..

راجيًا من كلّ مطّلعٍ أن يسبل الستر..

إن رأى هفوةً، فالإنسان محلّ النقص.

والكمال بيد الله سبحانه وتعالى.

ورحم الله الحريري إذ يقول:

وإن تجد عيبًا فسدّ الخللا

فجلّ من لا عيب فيه وعلا

فكّر بعقلكَ لا بعقل غيرك

فكِّر بعقلك.. لا بعقل غيرك.. مثلما تأكل في بطنك، وتَلبَس على جسمك، فلماذا لا تفكِّر بعقلك؟

الفكر.. هو مرآة عقل الإنسان، التي تعكس شخصيته الحقيقيّة..

حاول أن ترى الأشياء على حقيقتها، ليسَ كما تريدها أنت..

وكُن مدركًا لما حولك، ولا تفرط في شدة الإدراك..

فكّر في بناء ذكرياتك الجميلة، في مغامراتك الجريئة قبل أن يقل نشاطك ويُدركك العُمر..

الإفراط في الاعتقاد بأن الناس يفكّرون فيك كثيرًا وير اقبونك، وأنهم لا يملكونَ حديثًا غيرك فكرةٌ خاطئةٌ ستجلب لكَ الخوف..

فالناس مشغولون بذواتهم، وليس هناك ما يدعو للخوف، فلا أحد يفكّر فيك كما تتصور..

وهذا شيءٌ جيّدٌ للتغلب على حاجز الخوف لديك فتبدأ بعمل ما تحب، ولن يسألك أحد.. "لماذا عملت ذلك؟"

حتى إن سألك أحدهم، فلن يهتم كثيرًا بما تعمل..

وستجدهُ مشغولًا بذاته..

الألم

ليس من الضروري أن تكون الحياة معركةً مصحوبةً بالنصر دائمًا.. فأحيانًا نكون بحاجةٍ ماسّةٍ إلى الخسارة، للوصول إلى الانتصارات الحقيقيّة.. نحتاج إلى الحزن الحقيقي ليتولّد الإبداع الكامن في نفوسنا..

أن تحزن وتفارق من أحببت، حينها قد تصبح شاعرًا..
أن تتزوج من لا تُحب، قد يجعلُ منكَ فيلسوفًا..
كذلك المعاناة والحرمان، قد تقحمكَ في التمرد فتصبح ثائرًا..
في الحروب.. يُكتَشف السياسي البارز والعسكري الشجاع، ومن رحم المعارك تُتولّدُ شجاعته..

أما إذا كنت لا تريد أن تجرّب شيئًا.. فأخبرني بذاتك، ما الذي يمكنكَ تقديمه!
أنت تحتاج إلى بعض المغامرة الجريئة في حياتك. أنت إنسان.. لستَ جمادًا لا يملك الإرادة.. لك حق الاختيار، وحق التجربة.. والحياة قد تأتي من مغامرةٍ جريئة..

نحتاج إلى الحزن.. تمامًا كما نحتاج إلى السعادة. فلا نجاحات عظيمة بدون ألَمٍ وإخفاق..

فمن الألم تتولّد العَظَمَة.. ومِن رحم المعاناة يُنجَب الإبداع..

***

الوقت

_ لا تهدر تفكيرك وطاقتك في شخصٍ رحل من حياتك أو شخصٍ خانك فهذه يوميات تحدث لجميع الناس، ودائمًا أصحاب العقول الصغيرة من ينشغلون بها بشكلٍ دائمٍ، وحاول أن تتعلم منها وتتجاوزها.

_ لا تُزكِّ نفسك في جميع العلاقات بأنك دائمًا الشخص "الوفي" وغيرك هو الشخص "الخائن" وتهدر طاقتك بأمور سلبية تعتبر وجهات نظر، وفكر فقط فيما تحب واعمل ما تحب.

_ لا تنتظر شيئًا لتصبح سعيدًا فلن يأتي ذلك الشيء و أنت تنتظر، أنت الآن في أسعد أيامك، وحقق نجاحك وأحلامك من اليوم و إياك من كثرة الانتظار.

_ لا تعطِ الدراسة والمذاكرة أكبر من حجمها إلى أن تكون سببًا في تعاستك ولا تعتقد بأنها الطريق الوحيد للتفوق، وأعطِها حقها من الاهتمام دون مبالغة، ولا تنسَ أن التعليم الذاتي هو الذي يجلب لك العقل.

_ لا تغامر في اختيار أهدافك بسرعةٍ واعمل على انتقائها بعنايةٍ شديدة، فقد تكتشف بعد ذلك تفاهة ما سعيت إلى تحقيقه، عندما تبدأ بتحقيق أول أهدافك.

_ لا تنخدع بمحبة الكثيرين لك، الناس سيحبونك طالما تصرفت معهم كما يرغبون، لكن إذا قررت يومًا أن تعيش بأسلوبك سيرفضون ويبدؤون بتحطيم أحلامك. إنهم لا يرون الفضيلة إلا باتباع سبلهم ولا يرون النجاح إلا بما يتو افق مع حياتهم لذلك ابتعد عنهم.

_ لا تحزن عند تعرضك للانتقاد.. انتقاد الآخرين لك هو مدح مُتخفٍّ من حيث لا تعلم، ومن ينتقدك في الظاهر هو في الحقيقة يمتدحك لكن بطريقته الخاصة، ثم إن كثرة المدح بما ليس فيك هي أيضًا سخرية متخفية، فلا تغتربها وتحكم بظاهر الأشياء.

***

التعلم

تعلم أيها الإنسان ولا تهدر يومًا من حياتك دون تعلم..
فإن النجاحات الكبيرة لا تأتي إلا من محصلة تعليمٍ سابق، ومن أعمالٍ يوميّةٍ صغيرةٍ تقوم بها..
دعك من الآخرين ولتبدأ بنفسك، و اترك الغرور فإنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولًا، بغرورك وكبريائك الزائف، وما غرورك إلا دليل على عدم ثقتك بنفسك.

من الحرب يخرج السّلم، ومن التجارب يتعلم الإنسان.. والحياة تبقى المعلم الأول للبشرية، والقراءة هي المفتاح الأول للمعرفة..

فابدأ بتطبيق ما قرأت وتعلمت على نفسك أولًا، قبل أن تطالب غيرك بذلك وترفع غضبك وسخطك عليه...

وأن تعمل على رسم صراطك المستقيم والسير عليه بخطى ثابتة...

وفي حال الوقوع من الصراط، حاول العودة مجددًا، فلديك عدة محاولات وتجارب للوصول إلى مبتغاك..

أسرع و اقفز من الظلمات إلى النور و اترك الطرقات واسلك الطريق المستقيم.

***

افتح النوافذ وجدد فكرك

_ لا تقلد الآخرين ولا تتبع سبلهم فأنت لك عملك ولهم عملهم.

_ لا تهدر وقتك وطاقتك في الجدالات العقيمة وابتعد وأعرض عن الجاهلين.

_ لا تفكر خارج الصندوق ولا تفكر بالصندوق من الأساس، ارمِ الصندوق بعيدًا وفكر كيفما تشاء واذهب حيثما تشاء.

_ عندما تنظر في أمرٍ لا تنظر إليه بعينٍ واحدة، افتح الثانية لتتوسع الرؤية، وانظر إليه من زوايا مختلفة.

_ عندما تقتنع بصواب فكرة، احفظ خط الرجعة دائمًا، وضع احتمال أنها قد تكون على خطأ.

_ إياك أن تجعل غايتك من الحوار انتصار طرفٍ على آخر وإلا أصبحت منافسة وليست مناقشة، ولن تستفيد شيئًا عدا إرضاء غرورك بنفسك.

_ لن ترى النور أبدًا وأنت تجلس في الغرف المعتمة، افتح النوافذ وجدد فكرك الذي ركد وتعفن منذ آلاف السنين.

***

الكتمان من أسرار النجاح

يقول الحكيم الصيني "سون تزو" وهي نصائح تستخدم في الحروب.

"حينما تبادر بالهجوم، كن سريعًا كالريح، ومتشابكًا كالغابات.
في هجومك كن كالنار، وفي ثباتك كن كالجبل.
اجعل خططك غامضة كالليل، وعندما تتحرك انطلق كالعاصفة".

نفذ خططك وأعمالك الاستراتيجية بصمتٍ ولا تتحدث عنها بكثرة، فالناس يحاولون دومًا إفشالك في كلّ شيءٍ تقوم به في حياتك، سواء كان ذلك بقصد منهم أو بدون قصد فالأمر لا يختلف كثيرًا.

ومن المجرّب أنها ستفشل إذا أكثرت الحديث عنها. فمعظم البشر الذين يتحدثون عن مشاريعهم للآخرين قبل الشروع في تنفيذها نجدهم لا ينفذونها.

لذلك عندما تخطط كن غامضًا كالليل، وعندما تتحرك انطلق كالعاصفة، وعندما تنفذ مشاريعك نفّذها بصمتٍ ودع النجاحات هي التي تتحدث عنك.

فالكتمان يعد سرًا من أسرار النجاح ويستخدم في الحروب.

وما يستخدم في الحروب من خططٍ يُمكننا أيضًا استخدامه في حياتنا الاعتيادية.

لا تستهينوا بالكلمات

_ لا تبرر عدم إنجازك فالوقت كافٍ والآن هو الوقت المناسب للبدء بتحقيقها.

_ هذه اللحظة هي من تفصل بين ماضيك ومستقبلك.

_ لن تتغير أحوالك أبدًا إن كنت تلوم الناس على ما أنت فيه.

_ لا تبقَ مكانك، تقدم ولو ببطء، المهم أنك تتقدم.

_ تعلّم.. ويوم بدون تعليم هو يوم مفقود من حياتك.

_ عقلك هو مصدر سلوكك، غيّر طريقة تفكيرك تتغير حياتك.

_ الناس لا تفكر فيك ولا تر اقبك، تأكد من ذلك، لست مهمًا عند أحدٍ وهذا شيء جيد لتعمل ما تحب دون خوف.

_ إن خاصمتك الحياة فعد وصالحها فلا وقت للخصام، واعمل على استغلال أنصاف الفرص فهي موجودة باستمرار.

_ حلمك بسيطًا كان أم عظيمًا لن يتحقق إن لم تحققه أنت بنفسك فاهتم بأمورك لوحدك فلا أحد سيهدر ساعةً من حياته بالتفكير بأمرك.

_ الناس سيعتبرونك ناجحًا إذا كنت فقط تسلك طريقهم وتتبع سبلهم وتعيش كما يرغبون، أما إذا حاولت العيش بأسلوبك سيبدؤون بتحطيم أحلامك لكن لا تهتم وامضِ في طريقك.

أعلم بأنك تفكر الآن بأن كلّ ما أقوله هو مجرد كلام، والكلام بالمجان وليس له أيّ تأثير أو قيمة ولا يستطيع إحداث تغيير حقيقي على أرض الو اقع والعمل هو الأهم.

نعم، قد أتفق معك من جانب بأن العمل هو الأهم، لكن الكلام ليس شيئًا هيّنًا وغير نافعٍ كما تتصور.

والكثير منا يستخف بتأثير الكلمة، والحقيقة أن الكلمة تحمل الكثير من القوة، وقد ترفع الإنسان إلى عنان السماء أو تقتله وتجعل حياته جحيمًا.

والمتنبي بعظمته وحكمته قد قُتل بسبب كلامٍ عندما شكك الآخرون في شجاعته.

وكلمة واحدة قد تغير نظرتك للحياة وتجعلك إما سعيدًا أو حزينًا.

فلا تستصغِر وتستهِن بقدرة الكلمات على إحداث التغيير في حياتك وأعطِها حقها من التفكير وكنّ حريصًا للغاية حين تستعمل كلماتك فالتشجيع بالأساس كلمة، والإحباط كلمة.

البساطة أعمق من التعقيد

أجمل شيءٍ هو بساطة الكلمات..

أنتَ لا تحتاج إلى قصيدة شِعرٍ لتخاطب الله بها ولا تحتاج إلى كلماتٍ رنّانةٍ معقّدةٍ ليستجيب الله لدعائك.

الله أقرب إليك من حبل الوريد ويعلم ما بنفسك.

فادعْ الله بما يفتح عليك وينفعك دون أيّ تكلف وتعقيد وعناء أو شقاء. قال تعالى على لسان نبيه زكريا: ((ولم أكن بدعائك رب شقيًا)) مريم ٤.

والبساطة لا تعني السطحية في الحديث، بل على العكس تمامًا، وهي أعمق من التعقيد بنظر الكثيرين وتحتاج إلى مجهودين عند الكتابة: مجهود كتابة الفكرة وصياغتها ومجهود آخر وهو العمل على تبسيطها بعد كتابتها.

أما التعقيد فهو يحتاج إلى مجهودٍ واحدٍ وهو الكتابة.

والتعقيد هو محاولة إظهار العمق وهذا ما يجعله غير عميق.

وقد تحدث أينشتاين بأننا نحتاج إلى غبي لتعقيد الأمور ونحتاج إلى آخر ذكي لإيجاد الحلول وتبسيطها.

وقد وصف المعلم غير القادر على إيصال معلومته بشكلٍ مبسطٍ لطفلٍ في الابتدائية من عمره، بأن المعلم نفسه لم يفهم الفكرة بعد ولم يستوعب تلك المعلومة بشكلٍ كاملٍ بحيث لا يستطيع شرحها و إيصالها بشكلٍ مبسطٍ لطفلٍ في الابتدائية من عمره.

و أينشتاين هو القائل بأن البساطة أعمق من التعقيد وكان يعتقد بها، كما هو حال الكثيرين والذين يجدون المتعة بالبساطة دون تكلف.

ببساطة أكثر تصل أسرع

"البساطة هي المعنى الآخر للسعادة وتحمل بين طياتها الحكمة والسلام الروحي، وهي صفة مرتبطة بالإيمان والقناعة والصفاء الداخلي للنفس"

ببساطة أكثر سوف يستجيب لك القدر..

سوف تصل إلى مفاهيم لا تستطيع الوصول إليها عبر التعقيد.

أن تكون متقدمًا في الظاهر لا يعني ذلك بأنك الأول..

أن تهاجم في الحرب لا يعني ذلك بأنك المسيطر..

برويةٍ وبخطى ثابتةٍ تنتصر أسرع.

إياك أن تكون متعجلًا في الحياة و أبعد قلقك بالإيمان بالله ثم بالإيمان بنفسك وبقدرتك على الوصول إلى هدفك؛ تخلص من مخاوفك سريعًا و اترك العجل دون رؤية، وثق بنفسك تمامًا، وتعرف عليها جيدًا، واضحك مع من كان يضحك عليك، فالعبرة بالخواتيم، ولا تقلق من جميع المتقدمين عليك بالظاهر فهم في حقيقة الآمر خلفك ولكن لا يشعرون. ولن يشعروا إلا عندما يجدونك قد وصلت لمرحلةٍ لا يستطيعون الوصول إليها. فمن يسير بمفرده وبخطى ثابتةٍ يصل إلى أماكن لا يستطيع الوصول إليها من يسير خلف التيار وبدون رؤية.

كيفية الشعور بالسعادة ببساطة

على و اقع هذه البساطة سوف أكتب لكم كيفية الشعور بالسعادة ببساطةٍ جدًا، وبدون تكلف في الحديث، ومن غير أخذ نفس عميق، وقراءة كتب التنمية ومتابعة سير الناجحين. عليك ببساطة أن تشعر بالمحتاجين الكادحين الذين يعيشون في الأرض، أن تفكر بظروفهم الصعبة التي يمرون بها من معاناة.. ومكابدة.. في لقمة العيش.

وعلى سبيل المثال:

عندما تشاهد صاحب عربة "الآيس كريم" أو "الغسوس" أو عربة "البطاط" وكل ضماره (تكلفة المشروع) لا يتجاوز ٣٠٠٠ ريال وربحه في اليوم ٣٠٠ ريال، وتجده يعيل أسرةً كاملةً ويتحمل جميع نفقاتها، وتذهب لتشتري منه وتبايعه على عشرة ريالات أو عشرين ريالًا، وتظن وتعتقد بأن هذه هي "الحذاقة" وتشعر بالرجولة والفخر إذا أنقصت عليه عشرين أو ثلاثين ريالًا وتعتقد بأن تصرفك هذا هو منتهى الذكاء والفطنة والحنكة، وهكذا يجب أن يكون الرجال حريصين على أموالهم.

ثم تذهب وتصرف عشرات الآلاف في محلات "الماركات" وبدون أيّ "مراجلة" للأسعار وهي لا تستحق تلك القيمة، وتستحي من أن تقف وتبايع في محلات

الماركات حتى لا يُقال عنك بأنك رجل بخيل أمام أصدقائك ومتخلف لا تفهم بالماركات وبأسعارها.

إذا أردت الشعور بالسعادة الحقيقية والحصول على التوفيق الإلهي بطريقة بسيطة وبدون تكلف وتعقيد، فما عليك إلا أن تساعد المحتاجين، وأن تحاول إدخال ضحكة إلى قلب طفل فقيروقد اشتريت له "حبة تفاحة" وهو يقف أمام محل الفواكه ينظر إلى الفاكهة بحسرة ولا يقدر على عمل شيء لشرائها، ويتمنى أن يأكل تلك التفاحة المرسومة على كتابه المدرسي والتي لم يذق مثلها من قبل.. ثم تذهب أنت وتشتري له تلك التفاحة أو الفاكهة التي أرادها دون أن يتوقع منك ذلك الشيء، ومن ثم تغادر المكان وتنظر إليه من بعيد وهو يتقفز من الفرح وبيده الفاكهة وهو يأكلها وقد أدخلت إلى قلبه الفرحة.

حينها ستشعر بأن هذه اللحظة من أسعد اللحظات في حياتك وهي أسهل الطرق للشعور بالسعادة متى شئت، و أبسط الطرق للحصول عليها.

ستجدها أسعد من تلك اللحظات التي لطالما انتظرتها لتكون سعيدًا وعندما جاءت لم تشعر بتلك السعادة التي تمنيتها، ومر عليك اليوم كيوم عادي من أيام السنة.

وستعلم حينها بأن مفهوم الشعور بالسعادة بسيط جدًا ولا يحتاج لكل هذه التعقيدات وبأن البساطة أعمق من التعقيد؛ لأن السعادة ببساطة تكون في العطاء وليست في الأخذ. فمن المستحيل ألا يشعر المرء بالسعادة والابتهاج والإنجاز عندما يساعد زميله في العمل، يساعد رجلًا مسنًا في عبور

الشارع، يقدم الصدقة للمحتاجين، يساعد على إدخال ابتسامة إلى قلب طفل، يشارك الآخرين بما يعرف ويؤثر عليهم تأثيرًا إيجابيًا، يساعد الآخرين في إحداث فارق في حياتهم، يعطف على الحيوانات، يمد يد العون لطفل معاق أو أرملة أو مسكين، يبادل ابتسامة أو تحية مع الغرباء، يسامح من تسببوا في أذيته. والغريب أننا نحاول دومًا تجنب هذه المواقف ونخشى القيام بها ونبحث عن السعادة في أماكن بعيدة لا سعادة فيها وهي قريبة جدًا منا وببساطة أكثر وعمق أكبر نشعر بها.

***

الحب الذي لا يدوم

الحب الذي ينتهي قبل عام وتذهب باحثًا عن مغامرات جديدة لا يُسمى حبًا، هو رغبة لإثبات وجودٍ أو اتباع شهوة.

الحب الذي يضيع منك أو تفتقده وتستمر في البحث عنه وفي لحظة تعتقد أنك وجدته لا يسمى حبًا أيضًا فهو من خيالك وصنعك.

إني لا أرى الحب الذي نتحدث عنه بكثرة حبًا حقيقيًا.. وإنما أصبح رغبةً في التملك، كبرياء فارغة، وعقدًا نفسيّةً مكبوتة، غيرةً مبالغ فيها وغير مبررة، أصواتًا عالية مزعجة، أصبح صراعًا وتحديًا مَن الأقوى.

وكل هذه الحماقات التي نرتكبها تسمى حبًا.. السيطرة والأنانية والكبرياء والصراخ يسمى حبًا، وكلّ شخصٍ يتصرف ويحدث سلوكًا عدوانيًا يصف سلوكه بالحب.

وما يسمى بالغيرة الزائدة الغبية غير المبررة هي أيضًا ليست حبًا وتمتص طاقتك وتجعلها طاقة سلبية بدون إبداع وحرية.

فقد ندمر حرية الآخر ونكبله بالقيود عبر محاولة التملك والسيطرة باسم الحب وندخل في صراعات طويلة الأجل أشبه بصراعات السُلطة ونبتعد كثيرًا عن الحب باسم الحب نفسه.

وما حب التملك والسيطرة باسم الحب والغيرة إلا دليل على عدم ثقتك في إمكانياتك وعدم احتوائك لمن تحب، وتبقى فقط في حدودها الطبيعية مطلوبة لما يحفظ للأسرة تماسكها وبقاءها ولا تستخدم من أجل السيطرة وفرض القيود.

***

الحب في زمن السينما

ويحدث أن نبحث عن الحب ولا نجده لأننا ببساطة نبحث في المكان الخطأ، ولن نجد ذلك الحب الذي تخيّلناه.

أن ننتظر الليالي الطويلة ليأتي إلينا العاشق ليأخذنا بعيدًا إلى ما وراء الطبيعة كما يحدث في أفلام الهنود ومسلسلات الترك.

أن تكون سندريلا بجمال "كاترينا كيف"، ويكون هو فارسًا يأتي إليها فوق الخيل ليخطفها من بين الجميلات.

لن نجد هذا الحب إلا في السينما وفي دور العرض عند ممثلين بارعين يقومون بتلك الأدواروفق أجورٍ يتقاضونها.

أما الواقع فهو يختلف كثيرًا. ولو تأملنا حياة ممثلي الحب الحقيقية لوجدناهم أكثر الناس فشلًا في الحب وأبعد ما يكونون عن الحب الحقيقي، وأكثرهم تجده إما مطلقًا وقد تزوج بالعديد من النساء وتركهن، أو تجده مضطربًا بحياته الأسرية، أو عازفًا عن الزواج والارتباط خوفًا من فقدان نجوميته، أو تجده كلّ يومٍ مع عشيقة ويترك أخرى.

وكل التضحيات والإخلاص لمن يحب موجودة فقط في أفلامه، وليس لها أيّ أثرٍ من المصداقية في و اقع حياته وهو يمثل أفلام الرومانسية تمامًا كما يمثل أفلام الأكشن وجميعها تمثيل وأكل عيش.

ويجب على الجميع أن يعي ويدرك حقيقة ذلك؛ لأننا سنتورط ورطةً كبيرةً إذا اعتقدنا بأن ما يحدث في السينما من قُبلات ومداعبات وهمسات هو الحب الحقيقي وهو تجسيدٌ للو اقع، والبعض منا سيعتقد بأنه سيئ الحظ لأنه لم يحظ بمثل هذا الحب، ويلوم نفسه على ذلك ويعتقد بأنها السبب.

ثم إنه يمكننا أن نمارس الحب بشخصياتنا البسيطة العادية ولا نحتاج لخوارق ولا ممثلين خارقين لنعجب بهم ونبحث عن أقرانهم، والشخص العادي قادر جدًا على إسعادنا.

أما أشعار الغزل والحب والرو ايات الرومانسية فهي من تخيلات وصنع البشر وكل فرد يُفصِّلها على هواه، والقليل منها ينفع والكثير منها يضر بالمجتمع أكثر مما ينفع، وهي تختلف عن و اقع الحياة وكلّ شخصٍ فيها ممثل ويختار الدور الذي يناسبه.

يصنع الرجل المرأة الخيالية ويضع عليها شروطه كأنها ثلاجة للشراء: الطول، العرض، الثمن. بينما المرأة تحلم بفارس أحلامها الذي يأتي إليها بالخيل ويفرش لها الحياة بالورود ليحقق أحلامها الوردية ويجعلها سعيدةً إلى الأبد.

وكأن الرجال يمتلكون مصابيح علاء الدين لتحقيق الأحلام.

على المرأة أن تستيقظ وتهتم بو اقع معيشتها وتبدأ بتحقيق أحلامها من الآن إذا كان لديها أحلام، وألا تنتظر شيئًا حتى لا تصاب بخيبة أملٍ بعد ذلك.

وكذلك الرجال.. هي أحلامكم وليست أحلام غيركم، فلماذا ترمونها لأشخاص آخرين؟

اللذة في الحب واستمرارها

إن لذة الحب تكمن في ذلك الجنون، في تلك الحماقة التي كنت أمارسها في عزوبيتي وأخبرك عنها اليوم دون خجل أو خوف لنمارس المزيد منها.

أن نحظى بحياة العشاق ولا نتقيّد بسجن ذلك الروتين الممل القاتل لكلّ سعادةٍ ونبتعد عن النشوز والغرور والكبرياء الفارغة.

أن يكون لنا جانب من الحرية والثقة المتبادلة ونُحرِّم التجسّس والاقتحام في الخصوصيات.

فكلّ هذه الحماقات ترتكب باسم الحب وهي في الحقيقة حب تملك وسيطرة وصراع وعدم ثقة وليست من الحب في شيءٍ بل تدعو للنفور من الحب.

والحب الحقيقي يجب أن يكون طاقة إيجابية نحصل عليها لتحيط بنا وتزيدنا قوةً وثباتًا.. لا ضعفًا ووهنًا واستسلامًا وخضوعًا للآخر..

هو ذلك الحب الذي لا ينتهي.. ولا ينقضي.. حب بالإنسان يرتقي.. بالأفكار يرتوي..
هو حب الروح قبل الجسد.. حب لا يفقدنا الحرية.. حب تنتهي عنده الأنانية.. والعبودية..

هو الحب الذي يشتمل على المودة والرحمة والاحترام المتبادل.. يشتمل على التعاون في متاعب الحياة ومشقاتها.

الحب يعني التحرر من القيود واحترام شخصية الطرف الآخر ودعمه وتشجيعه ليكون هو وليس أنا.

الحب الحقيقي نادر الوجود.. وهو كالقرآن فيه هدى وشفاء ورحمة..

هو اتصال وتواصل بين النفوس المتماثلة..

فالنفوس المتماثلة الفيّاضة تصبو إلى نظرائها، وتحب وتعشق من يشابهها في أحلامها ومن يشاطرها آمالها ومن يتألم لحزنها ومن يسعد لسعادتها، ومن يشعرها بوجودها وأهميتها ويخاف عليها ويستمع لصمتها، ومن يخفف عنها المسافات والصعوبات ويُهوّن عليها الطرقات الطويلة الشاقة..

الحب الحقيقي يعني فرحًا وسعادةً وطاقةً متجددةً تزداد بمرور الأيام..

إن لم يكن سببًا لزيادة سعادتك و إبداعك وقوتك ومتعتك بالحياة.. فتأكد أنه ليس حبًا ويمكنك أن تسميه أيّ شيءٍ آخر.

***

الرحمة أعمق من الحب

أما الرحمة فهي منتهى الحب وهي أعمق من الحب، والحب إذا لم يشتمل على الرحمة سيصبح حبًا أنانيًا مدمرًا، حبًا شهوانيًا، ويتحول إلى كراهية ومصدر إزعاج وصراع وينتهي بمجرد انتهاء اللذة المؤقتة.

الرحمة فيها التعاون والتعاطف..

الرحمة فيها العطاء دون انتظار المقابل..

الله هو الذي يرحمنا وهذا هو الحب، هو الرحمن الرحيم.

والأم هي التي تعطف وترحم أبناءها منذ الصغر وتكدح من أجل إسعادهم، وهذا هو الحب الذي يجب أن نتحدث عنه ونعطيه حقه.

والابن يجب أن يقابل الجزاء بالجزاء والإحسان بالإحسان والرحمة بالرحمة.

أن يرحم ضعف والدته ويرحم كبرها وشقاءها في الحياة من أجل إسعادها، وأن يقدر جهودها ويتبسم بوجهها ويتحدث ويستمع إليها ويحتضنها ويُقبِّل رجلها.

أيها السادة إن السعادة الحقيقية هي الأم.

فأما الحب الذي تبحث عنه فما هو إلا رغبة مؤقتة ولن يستمر ولن يكون هناك حب حقيقي لامرأةٍ أخرى أو لزوجةٍ إذا لم يشتمل على الرحمة.

هل ترحم زوجتك وتقدر جهودها في البيت وفي تربية الأولاد؟

إذا كنت ترحمها فأنت تحبها، وأما الحب دون الرحمة فهو وهم، ولن يدوم، وبمرور الأيام وبتغير الجسد سينتهي الإعجاب، ولن يبقى في البيت إلا المودة والرحمة والسّكن والتعاون بينكما، وهذا هو الحب الذي يدوم.

وهل الزوجة ترحم زوجها كما ترحم ولدها وتقدر جهوده في العمل وجهوده في مكابدة الحياة المستمرة وفي معاناة توفير متطلبات البيت؟

إذا كانت ترحمه فهي تحبه وإن كانت تخبره بعشرات الكلمات من الغرام بأشكالها و أنواعها المختلفة دون رحمةٍ و إيثارٍ وتضحيةٍ فهي تكذب.

إن كانت ترحمه كما ترحم ولدها فهي تحبه، وإن كان يرحمها كما ترحمه أمه فهو يحبها، أو حتى جزء بسيط من رحمة الأم.

إن الحب هو المودة والرحمة وما أعظمها من كلمة ومن حقيقة.

كذلك هي رسالة الله سبحانه وتعالى رحمة للعالمين ولم تكن حبًا للعالمين.. فالرحمة أعم وأشمل من الحب.

***

الأذواق المتشابهة في الحب

في الحب يحدث أننا قد نعجب بشخصٍ ونجد ذلك التوافق والانسجام الفكري الذي لطالما تمنيناه ونشعر بأن تفكيرنا واحد وبأننا متشابهان جدًا.. نشعر أننا جسدان في روحٍ واحدٍ إلى الأبد، لا فرق بيننا.

وهنا قد نقع بخطأ من حيث لا ندري ونكتشف بمرور الأيام عكس ذلك، وتبطل تلك الأكاذيب التي تمنيناها واعتقدنا بها.

فكيف لنا أن نتشابه ولدينا ماضٍ مختلف وتجارب مختلفة بعضنا عن بعض؟ كلانا يحظى بحياة مغايرة ومستوى معيشي آخر وهي أسباب رئيسية في تغير سلوكنا واختلاف بعضنا عن بعض.

نمتدح ذوق الآخر لأنه شبيه لذوقنا فقط ونعجب به لأننا نعتقد بأنه مثل ذوقنا تمامًا.

ونحن في الحقيقة بهذا التصرف نغش بعضنا بعضًا ونمتدح أنفسنا وأذواقنا وليس ذوق الآخر من حيث لا نشعر.

ثم نكتشف بعد ذلك بأننا لم نحب بعضنا بعضًا ولم نحب الآخر لذاته وقد وقعنا فقط في حب فكرةٍ كوّنها بعضنا عن بعض.

ويُعد هذا أسوأ الأساليب للوقوع في الحب؛ لأن الإنسان حينما يعجب بشخصٍ يرى أنه مناسب له وأنه يحمل صفاتٍ يراها مناسبةً ومشابهةً له في الظاهر وهذا ليس الصواب دائمًا؛ لأننا حينما نفهم الشخص جيدًا يجب علينا أن ندرك حقيقته من الداخل وهذا لا يحدث إلا من خلال المعاشرة وبمرور الأيام والسنوات تستطيع التمييز ومعرفة ذلك.

والحقيقة أنه لا يمكن لأحد أن يشبه أحدًا من أساسه.

وكلّ شخصٍ فريد بذاته.

ويكفي أن نكون متشابهين باحترام بعضنا لبعضٍ وبتفهم مشاعر الآخر، وهذا هو الحب الحقيقي الذي يدوم، هو المودة والرحمة والاحترام.

***

الحب من طرف واحد

قد يحدث حب حقيقي وغالبًا ما يكون من طرف واحد والآخر لا يعلم به، وإن علم به تجده لا يعطيه اهتمامًا ويتجاهله تمامًا.

فإن حدث بعد ذلك وأخبرك بأنه يحبك فما هي إلا مجاملة ويبقى واحد يحب والآخر يكذب ويدعي الحب.

ومن يضعف ويغفر ويسامح ولا يرى أخطاء الآخر هو الذي يحب فعلًا. ومن يتهرب ويأخذ منك ولا يعطي ولا يرى إلا عيوبك هو الذي يدعي الحب، والحب الحقيقي يظهر في سلوك صاحبه.

والعطاء في الحب لا يُشترط أن يقابل بالعطاء، والحب أيضًا لا يُشترط أن يقابل بنفس الحب، ولا تتوقع أن يحسن إليك من تحسن إليه، بل على العكس تمامًا؛ لأنك عندما تحب شخصًا تجد سعادة في العطاء والإحسان إليه وبهذا التصرف تجعله يعيش تحت ضغط لأنه غير قادر على العطاء، لذلك لا تلومه إذا لم يقابلك بنفس الحب؛ لأن الحب شعور فطري من الله مصدره وليس للبشر يد فيه.

ومن كان يحبك فعلًا سيحبك بكل عيوبك.. سيحبك بدون أن تبذل مجهودًا لتقنعه بنفسك.. سيحبك بدون أن تظهر له مواهبك وإمكانياتك وقدراتك.. سيحبك بدون أن تسعى خلفه.. سيحبك بدون أن تكتب له شعرًا

وبدون أن تصف له كمية عشقك وتتييمك به. أما من يريد ألا يحبك فلن يحبك، حتى لو أنفقت كلّ ما في الأرض جميعًا ليحبك، لن يحبك ولو أحبك فهو حب زائف.

ومشكلة النفس البشرية بأنها تحب معذبها وتهوى من لا يهواها ولا يشعر بوجودها.

لذلك يُعدّ جميع أنواع الحب بنظري عذابًا وإرهاقًا للذات، إذا لم يكن متبادلًا ومشتملًا على الرحمة.

وما حب كامل وحقيقي إلا حبنا لله سبحانه وتعالى، وهو أعظم حب نصل إليه، وهو الحب الذي يزيدنا قوةً وثباتًا وطمأنينة. فالله لن يقابلك بالرفض إذا أحببته كما يفعل البشر بل على العكس تمامًا، وكلما أحببته أكثر وتقربت منه أكثر أحبك أكثر وزادك حبًا ونقاءً وقبولًا وطمأنينة وراحة بال.

ونحن عندما نحب شخصًا نحب فيه صفات الرحمة والجمال والإبداع وكلها نفحات وصفات الإلهية.

فكل أنواع الحب يجب أن توصلنا إلى الحب الأكبر وهو حبنا لله سبحانه وتعالى.

***

المغامرات في الحب

البحث عن مغامرات جديدة لا يسمى حبًا و إنما بطولات فاشلة ولا يبقى منها سوى الذكريات.

الحب الذي يُبنى على الجنس يبقى جنسًا وخداعًا مُفرّغًا من الحب.

التعلق بقشة خوفًا من الغرق ليس حبًا وهو ظلم لأنفسنا ولغيرنا أن نشعره بحب كاذب.

الحب الذي يأتي سريعًا يذهب سريعًا ويفتقد إلى الصدق في المشاعر.

الكبرياء والنشوز ومحاولة السيطرة باسم الحب ليست حبًا وهي تقتل الحب وتجعله مملًا وقد يتحول بعد ذلك إلى كراهية.

الأنانية وحب التملك طاقة سلبية وليست حبًا وتقتل الإبداع وتبقى في حدودها مطلوبة.

الحب من أجل إثبات الذات لا يسمى حبًا وهو مراهقة ومحاولة تقليد.

الحب الذي يأتي من صنعك وخيالك ليس حبًا وما أكثرهذا الحب.

معظم الحب الذي يسمى حبًا ليس حبًا وينتهي بانتهاء اللذة المؤقتة واللحظات العابرة.

حب١٥، ١٦، ١٧ سنة ليس حبًا وأكبر خطأ أن تتزوج من أحببت بهذا العمر فقد تتغير نظرتك وتحتاج لجرعةٍ إضافيّةٍ عندما تكبر وينتهي حبك وتبحث عن

زواج آخروحب آخرفي الثلاثين من عمرك عندما تنضج أكثروتشعر بأنك كنت مخدوعًا في الحب الأول.

الغزل والأشعار التي نخاطب فيها المرأة بطريقةٍ حديثةٍ ليست حبًا، وهي سمة العصرلكنها لا تدوم.

الحب من وراء قناع في صفحات التواصل الاجتماعي لا يعتبر حبًا ولا أومن بوجوده.

لا أومن بحبٍ من وراء حجاب..

نظرة حب فضحكة و ابتسامة..

تغنيني عن عشرات الرسائل..

الغَرَامُ في مو اقع التواصل..

لا أشعر بوجوده.

***

الخوف من الارتباط

هناك الكثير ممن أصبح يخاف من الزواج الذي يُصاب الجميع بخيبة أمل بعده.. الرجل الجذاب يصبح مملًا جدًا ولا يتكلم إلا في السياسة ولا يهتم إلا بإشباع معدته ويصبح الوصول إلى قلبه عن طريق إشباع معدته، لم يعد ذلك الرجل الرومانسي ويزداد وزنه ويمتلئ كرشه وينبغي على المرأة أن تتحمل غضبه وعصبيته الزائدة، كما هو يتحمل غباءها ورفضها المستمر.

والمرأة الرقيقة التي كانت تعشق الفن والموسيقى وقراءة الكتب وتكره الحفلات في فترة الخطوبة وبداية فترة الزواج أصبحت تصرخ بعد الزواج وبمرور الأيام وبصوتٍ عالٍ ولا تعشق إلا الحفلات والمكياج والمطالبة بالأشياء الجديدة والسخط على كلّ ما يقوم به الزوج.

ثم نجد أنفسنا محاصرين بكثرة الإفراط في المبالغة، مُبالغة بذكر وإظهار ما يميزنا في البدايات ومُبالغة في التستر وإخفاء كلّ شيءٍ جميلٍ بعد انتهاء البدايات.

والحب والزواج يصبح شهرًا والباقي كله عذاب، وهو في الأصل سكن ولباس ومودّة ورحمة يجب أن تبقى إلى الأبد.

وألا تكون اللحظات العابرة التي تحركنا هي منتهى الحب.

***

تجنب الانهيارات في الحب

إنّ السير على نمطٍ واحدٍ بعلاقات الصداقة أو الزواج يجعل منها علاقات مملة، والتجديد ضروري لإحياء العلاقة من روتينها الممل القاتل لكلّ سعادة.. فأيّ علاقةٍ لا يطرأ عليها تطور سرعان ما تفتروتموت وتذبل وتنتهي.

والكثير من العلاقات كانت قويةً بالسابق، ومع الأيام أصبحت باهتةً فتنهدم العلاقة وينتهي الحماس..

والسبب:

هو أن أحد الطرفين في تطور مستمر بينما الآخر يبقى على نفس ما كان عليه بالماضي وبالتالي فلم يعد بينهما خيوط مشتركة ولا فكر يجمعهما، ويبدأ أحد الطرفين بوصف الآخر بأنه قد تغير ويلومه على ذلك التغيير.. بينما طبيعة الحياة واختلاف المو اقف والأيام تجعله من الطبيعي أن يتغير، والأهم هو أن يبقى نفس الشخص من حيث القيم ومن حيث الجوهر، أما السلوك والاهتمامات فمن الطبيعي أن تتغير بمرور الأيام، ولا يجب أن نلوم الآخر على ذلك التغيير.

وكثير من العلاقات قد تنهار بعد ذلك دون أن يعلم أصحابها السبب في ذلك الخطأ والانهيار.

وغالبًا ما تكون الانهيارات بسبب قلة الوعي بما يحدث وعدم فهم طبيعة الاختلافات والفروقات بطريقة التفكير بين الرجل والمرأة.

أحيانًا يصدر الشخص إشاراتٍ بأن العلاقة تبدأ بالانهيار والآخر يستمر في الحماقات ولا يفهم تلك الإشارات حتى تنهار العلاقة. والسبب الرئيسي لهذه الانهيارات هو سوء الفهم.

فالرجل يريد من المرأة أن تثق بقدراته وتدعمه في خطواته وتشجعه على فعل الأشياء مثل الطفل تمامًا الذي يحتاج للتحفيز.

بينما المرأة تريد من الرجل الاهتمام والحب وتفهُّم مشاعرها.

والمرأة تفهم سلوك الطفل أكثر من الرجل، لكنها لا تفهم سلوك الرجل في الغالب، والرجل أقرب بطبعه وبصفاته وسلوكه إلى الطفل من المرأة. وعلى المرأة معاملة الرجل كالطفل تمامًا إذا أرادت استمرار حبه واهتمامه، وكأنه فارس أحلامها وسوبرمان عصره.

***

الجاذبية والحب والرحمة

أن تحب شخصًا جذابًا وكاملًا وليس فيه عيب بنظرك فهذا هو الإعجاب..

أن تحب شخصًا كما هو بعيوبه التي تعرفها فهذا هو الحب..

أن تحب شخصًا كما أصبح وكما بهدلته الحياة وأدركهُ العمر وفقد جاذبيته فهذه هي الرحمة وهي أعمق من الحب وهي التي تبقى.

متى استطاع الرجل أن يفرق بين الجاذبية والحب والرحمة فإنه سيكون قادرًا على اختيار المرأة التي يمكن أن يقع في حبها.

ثم إن مواصفات الجاذبية والإعجاب واضحة ومعروفة، وينبغي على الرجل فهمها، لكيلا يقع في حب زائف.

الجاذبية تعني رغبة جامحة تجاه امرأة، ولكن الحب يذهب إلى أبعد من ذلك بكثير، والرحمة تذهب إلى ما هو أبعد و أبعد وهي منتهى الحب.

***

أنواع الرجال

الرجال لهم ألف نوع وألف ذوق لاختيار المرأة، ومعايير الجمال والقياس تختلف من شخص لآخر.

وقد يحدث بأن يكون الجمال عند شخص هو القبح نفسه عند شخص آخر. ومن الرجال من يريد المثقفة، ومفهوم الثقافة يختلف من شخصٍ لآخر. والبعض يعشق المتمردة أو الخجولة أو الجريئة.

وعلى المرأة أن تكون كما هي ولا تهتم، ولا تحاول تغيير الأشياء التي تحبها.

فقد تجد من يعشقها ويحبها لذاتها.

ولا تنتظر الرجل الخارق كأبطال السينما لأنه لن يأتي.

والرجل العادي قادر على إسعادها.

والخارق لدى امرأة قد يكون عاديًا عند أخرى، ومعايير القياس والجمال تختلف من شخص لآخر.

وإن كان لدي معيار للجمال لوضعت ٧٠% من جمال المرأة في طريقة تفكيرها.

***

وعند الاختيار تذكر

وعند الاختيار والإقبال على الزواج تذكر أن المرأة المثقفة هي من تحترم بيتها في المقام الأول وتعرف واجباتها تجاه البيت.. وتجاه زوجها وتجاه الأسرة.. وتجاه المجتمع.. قبل أن تقرأ في الكتب الأجنبية وتتعرف على هيجل وسارتر وفرويد؛ لأن الثقافة الحقيقية هي ثقافة فكر واتزان وليست ثقافة طيش وتمرد وتحريض على المجتمع وتقليد لمجرد التقليد وموضة وحداثة.

والقراءة يجب أن تُولِّد تفاعلًا إيجابيًّا مع البيئة لما ينفع المجتمع، ويتلاءم مع طبيعته وليس لما يهدمه ويضره.

هنالك سقوط لمفهوم الثقافة والحب لدى الكثيرين، وكان الحب عند أجدادنا أفضل من اليوم، وكنا نجد في حياتهم مودّةً واحترامًا متبادلًا وتعاونًا مشتركًا وهذا هو الحب.

أما الآن فقد دخلنا الحياة المدنية وكانت أضرارها أكثر من منافعها وأخذنا منها القشور الضارة فقط، لذلك تخلفنا أكثر وتخبطنا أكثر مما كنا عليه ولم نعد نجد حبًا حقيقيًا وأصبح الجميع يشتكي ويتألم من الحب.

والرجل المثقف أيضًا ليس من يؤمن بنظرية داروين قبل أن يقرأها ويضع صورة جيفارا خلفية "البروفايل". وليس من يتخفى وراء قناع الثقافة ويُلبس الحق بالباطل.

الرجل المثقف من يهتم بنفسه ويعمل على إحيائها أولًا، ثم يبدأ بإصلاح نفسه وأسرته ومن حوله قبل أن يقرر تغيير العالم ويقوم بإعطاء البيت حقه والمرأة حقها.

وفلاسفة اليونان كانوا يرون أن الفضيلة ليست في القراءة ولا الكتابة ولا البحث عن المعرفة.. بل بالعمل. والشخص الفاضل بنظرهم هو الذي يعمل ويؤدي واجبه وعمله بكفاءة وفاعلية.

وأخيرًا عند الاختيار والإقبال على الزواج تذكر أن المظاهر خداعة جدًا ولا يُمكننا أن نحكم بظاهر الأمور فقط، وأن الذكاء وحده لا يكفينا لاختيار الزوجة المناسبة أو الزوج المناسب، وأننا نحتاج إلى التوفيق الإلهي ودعوة الوالدين لإحسان الاختيار.. من قبل أن نقرر الاعتماد على ذكائنا وحواسنا المحدودة في لحظة الاختيار والإقبال على الزواج.

***

السعادة الإنسانية

إن الإنسان قد يُفني حياته في البحث عن السعادة ولا يجدها.

لا أعلم لماذا ننتظر حدوث الأشياء حتى نكون سعداء؟

بمجرد أن أحصل على الشهادة الجامعية سوف أكون سعيدًا!

فقط عندما أتزوج سوف أصبح رجلًا سعيدًا!

السفر وحده القادر على إسعادي!

لو حصلت على تلك السيارة الباذخة لن يكون هناك شخص أسعد مني!

بينما السعادة تكون في الطريق للوصول إلى الأهداف، وهي رحلة وليست محطة وصول، وعندما نصل إلى الهدف نذهب ونبحث عن هدفٍ آخر وإشباع رغبةٍ أخرى، وهي أشبه بذلك الرجل الذي يتسلق الجبال وعندما يصل إلى القمة يبقى لدقائق معدودة في القمة ثم يبدأ بالنزول بعد ذلك والبحث عن تجربة أخرى وجبل آخر للتسلق والصعود عليه..

إنه يجد السعادة في الطريق للوصول إلى القمة..

لأن السعادة ببساطة لا تبقى طويلًا بنفس المكان.

ونحن في الغالب نحكم بظاهر الأشياء وعندما نجد شخصًا يمتلك السيارات والقصور والمال بالظاهر نحكم ونعتقد بأنه سعيد ونتمنى حياته. والصحة والمال والجمال هي فعلًا وسائل للسعادة إذا أَحسن الإنسان استخدامها وليست السعادة بحد ذاتها.

والغريب أننا نجد من يمتلكون تلك الوسائل هم أكثر الناس شكوى وتذمرًا من سوء أحوالهم ومن نقص أموالهم ويعتقدون بأنهم يمتلكون القليل جدًا مقارنةً بمن يمتلكون أكثر منهم، وتجدهم يعيشون بتعاسةٍ رغم امتلاكهم وسائل السعادة ويفتقدون لأشياء أكثر أهميةً من المال؛ لأن الحياة لا تعطيك شيئًا بدون مقابل وبدون تكلفة تدفعها، فقد تجده يفتقد متعة البساطة وما أعظمها من متعة! ويحاول التكلف في كلّ شيءٍ في الحياة والظهور بمظهر القوة بشكل دائم ولو كان ضعيفًا جدًا من الداخل.

ولا يوجد شيء في الحياة يمكن أن يتلذذ به الإنسان تلذذًا مستمرًا وسوف يصل إلى التشبع مهما كان جمال ذلك الشيء، وسوف يطلب التغيير ولن يصبر على طعامٍ واحدٍ كما لم يصبر بنو إسرائيل على نفس الطعام؛ لأنها فطرة الإنسان: البحث عن المزيد، ولا قناعة ولا إشباع لتلك الرغبات إلا بمحاولة التفكير بأهمية تلك الأشياء التي نقتل أنفسنا من أجل الحصول عليها؛ فقد نجدها أشياء تافهة جدًا وفيها لذة وسعادة مؤقتة، مع ذلك سوف نستمر في البحث عنها وهذه هي طبيعة البشر: حب التملك وعدم القناعة.

والحياة بطبيعتها متقلبة ويصاحبها حزن وسعادة معًا وكلاهما خير ونافع للإنسان؛ فالألم والرفض والحرمان والمعاناة والحرب تولد الإبداع.

والمال والصحة والرخاء وسائل للسعادة وليست السعادة بحد ذاتها، فقد يحصل عليها البعض ويسيء استخدامها ويدخل في الملذات ويتبع الشهوات والمفاخرات ظنًا منه بأن هذه هي السعادة، ويتكلف في حياته ويفتقد للمتعة والبساطة وتزداد كآبته ومشاكله رغم امتلاكه وسائل السعادة.

***

سوء الحظ

من يشتكي من سوء الحظ عليه أن يدرك بأن الأهداف العظيمة لا تأتي من تلقاء نفسها.

حتى إن حدث وحالف البعض من الناس الحظ دون مجهود يذكر منهم، فهم سيضطرون بعد ذلك إلى بذل مجهودٍ أكبر للحفاظ على الحظ الذي حالفهم.

فالحفاظ على الحظ غاية في الصعوبة وأمر ليس بالسهل، وهو يتساوى مع درجة صعوبة وصولك إلى ذلك الهدف دون ذلك الحظ الذي حالفهم.

نعم، هناك أناس وصلوا لمناصب كبيرة وأهداف عظيمة عبر الحظ، لكنهم سيجدون صعوبات كبيرة للحفاظ على الحظ الذي حصلوا عليه بدون مجهود.

لذلك لا يُعطينا الله سبحانه وتعالى شيئًا بدون عملٍ وبدون إرادةٍ لنا وطلبٍ منا وبذل جهدٍ للحصول عليه، وهو يترك لنا مساحةً للجهد والتميز، وهذا الأمر يعود إلى مشيئة المرء وإرادته.

***

الفشل والنجاح

كلّ فرد منا يرى الحياة من منظوره الخاص ويعتقد بأنه يرى الحقيقة الكاملة، ويقوم بإصدار الأحكام بالنجاح أو الفشل على الآخرين بناءً على حياته الخاصة.

إذا كنت تسيروفق مساره وتسلك طريقه وتتبع سُبله فأنت ناجح.

أما دون ذلك فأنت في الطريق الخطأ.

وعليك أن تتبع خطو اته وتسلك مسلكه لتكون ناجحًا.

وكأن النجاح له طريق واحد وهو طريق الآخرين وتقليد حياتهم.

إذا كان هدفنا هو تحقيق النجاحات..

فما شأنك أيّ الطرق أسلك للوصول!

***

الإنسان ما هو؟

إن الإنسان في الغالب كلما كبر وبدأ يتحمل مسؤوليّةً ازداد خطورة، ويبدأ النضال وقول الحق الذي لطالما كان يتشدق به في شبابه ينقص من حياته تدريجيًا كلما كبر وتقدم في السن حتى يختفي تمامًا في الأربعين من عمره تقريبًا، عندما تزداد متطلبات الزوجة والأولاد ولا يجد حلًا إلا باتباع ما كان يذم الآخرين على عمله.

وعندما يقع بنفس موقف من سبقه يقوم بعمل ما كان ينهى الناس عنه ويتصرف بنفس تصرفهم. لم يكن يعلم لماذا كان الجميع يتصرف بهذه الوحشية حتى أصبح وحشًا مثلهم. ولم يدرك بعد أن نفس الإنسان الذي كان يرفض الغش والمال الحرام وكان يناضل من أجل الحرية وكلمة الحق هو نفسه اليوم الذي يبرر كلّ الأعمال السيئة وأصبح همه هو الوصول إلى المال مهما كانت تلك التجاوزات.

أنت أيها الإنسان الذي تمتاز عن الكائنات الحية بأنك حر ولديك حق الاختيار..

أخبرني.. لماذا حينما تكبر مخالبك تقوم بإيذاء الآخرين؟

لماذا.. لا تخجل من نشر الكَراهِية.. وتستحي من نشر الحب والتسامح بين الناس؟

تمتلك عدة طرقٍ في إيذاء الغير وتتفنّن بالإيذاء.. تتباهى بما تملك من المال أمام الفقراء لتزيد من حسرتهم ومع ذلك ترجو لقاء الله وتطيل في الصلوات رياء الناس. كُفّ عن النفاق يا هذا. الإنسان الكادح هو الذي يعيش في الأرض وهو المحتاج للمساعدة والرحمة وليس الإله من يحتاج المساعدة.

لا أعلم لماذا يصر الإنسان على إيذاء غيره؟

لماذا يتلذذون في مثل هذه الأعمال؟

حتى إن الكلمات تخرج جارحةً دون أيّ مراعاةٍ لشعور الآخر. لا أعلم إن كان ذلك يحدث بقصدٍ أو دون قصد؟ وقد يحدث أحيانًا بغباء.

والمشكلة أن الإنسان الغبي يكون ضميره غبيًّا مثلهُ حتى إنه يؤذينا وهو لا يشعر بشيء، وكأنّ حديثه طبيعي ولا يعلم بأن حديثه جارح.

***

الإنسان الطيب والمغرور والجبان

هناك فرق كبير بين الإنسان الطيب بإرادته واختياره والذي يعلم متى يكون طيبًا مع الطيبين ومتى يكون شريرًا مع الأشرار الذين لا ينفع معهم الطيبة، وبين الإنسان الآخر الضعيف الذي لا يقدر على قول لا.. وتُفرض عليه الطيبة فرضًا، وطيبته نابعة من ضعف وجبن وليست طيبة حقيقية، ولو أتيحت له لحظة اختيار حر لظهر على حقيقته وخرج وصرخ بأعلى صوته.. أنا لست طيبًا.. أنا جبان.. أخشى الناس لذلك.. أوافق على كلّ شيءٍ من ضعفي.. وليس من طيبتي.

والشخص الجبان تجده لا يتوقف عن الحديث عن شجاعته لأنه يعلم بأنه جبان ويحاول تغطية جبنه بكثرة الحديث عن الشجاعة.

كذلك هم معظم البشر لا يتوقفون عن ذكر ما ينقصهم كأنها محاسنهم، والتحدث حولها باستمرار، مما يجعلك تشك إن كان ذلك هو الشيء الذي ينقصهم فعلًا، باستثناء أصحاب التخصصات والذين يتحدثون في مواضيع محددة باستمرارٍ وفقًا لطبيعة أعمالهم.

والإنسان بطبعه مغرور ويعتقد بأن لا أحد أذكى منه على الإطلاق وأنه أفضل من غيره في كلّ شيء.

حتى ينصدم بواقع الحياة ويجد نفسه شخصًا عاديًّا بشرًا ممن خُلقوا.

لكنه لا يقتنع بذلك ويقوم بتقليد الآخرين ويفشل.

وقد يجتهد من أجل الوصول إلى هدفه لكنه لا ينجح؛ لأن إرادته وحدها هي من تحركه، والإرادة وحدها لا تكفي وينبغي أن تصاحبها المعرفة، وأن يتحرك بو اقع الإرادة والمعرفة معًا.

نعم، لكل شخص ما يميزه عن الآخرين لكنه يحتاج إلى رحلةٍ لاكتشاف ما يميزه ولا يحتاج لتقليد نجاحات الآخرين.

إنها رحلة صعبة وتحتاج إلى الغوص في أعماق النفس لمعرفة ما يميزها فعلًا.

***

التشاؤم والإحباط

ومن الناس من يجد نفسه محبطًا متشائمًا غير قادرٍ على العطاء، يشعر بالسوء والحزن الشديد لحاله، أصبح يعرف أخطاءه جيدًا، لكن لا جدوى في التغيير، يعاني من الفراغ، من عدم إنتاج، من كبت داخلي وعدم تفريغ، لذلك أصبح عدوانيًا، الجميع ينفر ويشتكي من أعماله، ولا أحد يسأل عنه أو يهتم به، الأرض بكبر حجمها ترفضه ولا تقبل الأموات، والعالم كذلك لا يقبل غير الأحياء ويرفض الأموات.

ويبقى الأمل الوحيد الذي يعيش عليه هو الله، وعليه أن يعود إليه أولًا قبل كلّ شيء.. وهو الملجأ الوحيد القادر على إحياء قلوبنا من جديد بعد موتها، ولا ملجأ ولا مفر لنا إلا بالعودة إليه؛ لأنه الله سبحانه وتعالى، هو الذي خلقنا وأوجدنا من العدم، هو الذي سوف يرحمنا، لأنه الرحمن الرحيم. كلّ ما عنده خير، الشر يصبح خيرًا، والمرض يصبح خيرًا، والحرب خيرًا، وما دونه هو الباطل والشر.. والخوف كلّ الخوف هو من البشر، والخير كلّ الخير من عنده، والشر كلّ الشر من أنفسنا.

فمهما كانت تلك الصعاب التي يمر بها الإنسان في حياته عليه أن يؤمن بأنها خير، وأنها تزيده قوةً وإدراكًا وفهمًا للحياة، ويتوكل على الله ويترك القدر للقادر، ويدع الخلق للخالق، ويتفاءل بأن الأيام ستقوده إلى حياةٍ أحسن، وأن الآخرة ستكون خيرًا لنا من الأولى..

وآخر ما بدنيانا سيكون خيرًا لنا أيضًا.. وبأن الرفض والألم والمعاناة في الحياة هي لحكمة إلهية لا ندركها بحواسنا المحدودة وفي باطنها يكون الخير.

أما التشاؤم والإحباط فهو لن يعود عليك بأيّ فائدةٍ غير المزيد من الإحباط وإحباط من حولك.

لأنه من جنس اختيارك، وكلما زدت تشاؤمًا زادك الله تشاؤمًا وإحباطًا..

وكلما زدت تفاؤلًا زادك الله تفاؤلًا وحبًا وأملًا.

كفى بالله وكيلًا.. ثق بذلك.

الله من يخبرك بأن تثق به ويدعوك أن تخشاه وألا تخشى البشر، وعدم الوثوق بالله ما هو إلا ضعف إيمانٍ حقيقي.

أيها الإنسان إذا أردت أن تحسن الاختيار.. فما عليك إلا أن توكل الله في اختيارك وتثق في ذلك وتؤمن حق الإيمان بأن الله لن يختار لك إلا الخير وإن كان في ظاهر الأمر لا يبدو لك خيرًا.

ويحدث فعلًا بأن الله قد اختار لك الخير و أنت تعترض، لأنك لا تعلم أين هو الخير.. وعقلك قاصر في معرفة ذلك.

الله يريد لك الخير و أنت تريد الشر، بل وتصر على طلب الشر.. ظنًا منك بأنه خير، كما فعل نبي الله موسى مع الرجل الصالح.

إذا كان الله لا يريد لك ذلك، فلماذا الإصرار إذًا؟

هل ما زلت تتذكر عدد المواقف التي كنت تندفع من أجلها وكنت تريد الحصول عليها؟

والله كان يؤجلها وكنت تحزن وتعترض لعدم حدوثها، والآن تتذكر بأن تأخيرها وعدم حصولك عليها كان خيرًا.

هل لديك العديد من هذه المواقف؟ بالطبع نعم.

تذكرها وتذكر على ماذا تغضب اليوم، ستجد نفسك تغضب على اختيار الخير لك.

أنا لا أتحدث إليكم بمواعظ وخطب تسمعونها كلّ يومٍ ولا أحد يتأثر بها..

أنا أتحدث عن إرادة البشر المندفعة لاختيار السوء..

الله يدفع لك باختيار الخير و أنت لا تعلم ذلك وتستمر بالاعتراض.

الله يعلم و أنتم لا تعلمون، والإنسان هو الجهول، وقد خلق من عجل.

فلماذا لم يعد هناك إيمان حقيقي بأن اختيار الله لنا ما هو إلا خير محض. حتى إن حدث وفقدت شيئًا وكنت تريد الحصول عليه ولم تحصل عليه بسبب إرادة الله.. سوف يعود إليك ذلك الشيء بشكلٍ آخر..

فقط إذا كنت تثق بالله وتتخذه بالفعل وكيلًا وليس مجرد توكيل وإيمان سطحي وقشور وحالات نحدثها بالواتس آب ومواقع التواصل الاجتماعي ونرددها كلّ يوم بدون تصديق عملي لها ويقين لا يخالطه شك ولا ريبة بأن الله فعلًا هو الخيروما دونه هو الباطل وكفى بالله وكيلًا.

أما البشر فهم لن يشعروا بما تشعر به، ولن يفهموا ما تعاني منه، ولن يستمعوا إليك في الغالب وأنت تتحدث إليهم، وإن استعموا إليك فهم يستمعون من أجل الرد عليك، لا من أجل الفهم أو تقديم الحلول لك، ولن ينظروا إليك بقلوبهم مهما بلغت درجة إيمانهم وتقواهم.. فلا تعقد الآمال الكبيرة عليهم.

وارفع يدك إلى بارئك واشتكِ إليه هو أقرب إليك من حبل الوريد وهو الوحيد الذي يكشف السوء والقادر على ذلك.

وتأكد ما من مشكلة دنيوية تقع فيها إلا ولها حل، وتبدأ معقدة في البداية، ثم تصغر وتنتهي في النهاية.. إلا مشكلة الموت الذي يأتي إلينا فجأةً ولا نستطيع إرجاعه أو إيجاد الحلول لمعالجته.. أما المشاكل الأخرى الدنيوية فلن يدوم استمرارها.

***

الصعوبات التي نواجهها

الصراعات في الحياة قائمة ولن تنتهي إذ يريد الجميع فيها أن يكونوا الأفضل ويستمرون بالضغط على أنفسهم حتى ينفجروا من شدة الضغط. يريد الجميع الحصول على أعلى الدرجات ٩٦، ٩٧، ٩٨، ودراسة أعلى التخصصات "طب" "هندسة" أيّ شيء أقل من ذلك غير مقبول، وننسى الاختلافات والفروقات بين البشر.

لكلّ شخصٍ نقاط قوة يرتكز عليها ونقاط ضعفٍ وليس هناك شخص ذكي في كلّ شيءٍ وليس هناك شخص غبي في كلّ شيء.

والغبي هو الذي يعتقد بأنه أفضل من غيره في كلّ شيء.

لكلّ فردٍ موهبة تختلف عن الآخر؛ لكننا نضرب بهذه الاختلافات عرض الحائط ونريد أن نكون كربونات نكرر حياة بعض، وننسى بأن لكلّ فردٍ طريقًا خاصًا به وعليه اكتشافه بمفرده.

وهذا هو أصعب شيءٍ في الحياة، أن يحاول الآخرون جعلك شخصًا آخر غير الذي تريد في دراستك وفي عملك وفي حُبك واهتمامك.

قد يكون منهم حبًا وخوفًا لكني أراه فضولًا، خصوصًا عندما يكون بما ليس لهم به علم بالآخرين وبأسرارهم وبقدراتهم.

لكلّ شخصٍ منا موازين مختلفة عن الآخرين ولديه أسرار ومعايير مختلفة عند اختياره لا يفهمها الآخرون.

لذلك أبدًا لا تكره الشيء الذي لا تفهمه ولا تحكم بمعاييرك وقناعاتك أنت والتي لا تناسب غيرك وتعممها على الجميع، فما يدريك لعلك إن كنت في مكان غيرك لاخترت اختياره وتصرفت تصرفه.

والإنسان يعد معجزةً بحد ذاته، وهو رأس المال وأغلى ثروة، ولو عرف نفسه لفعل المستحيلات، وليس التخصص وحده من يميزه عن الآخرين ولا الدراسات العليا، والإبداع يكمن في الفرد نفسه.

فمعظم العظماء لم يحصلوا على شهاداتٍ جامعيّةٍ ولم يتفوقوا بدراساتهم و إنما عرفوا أنفسهم، وهذه أعظم صورة من صور الإبداع.

***

سر التفوق والإبداع

عليك أن تدرك بأن سر التفوق هو العمل دون توقف، هذا ما يقوله أصحاب التنمية البشرية ونحن نتفق معهم من جانب، لكن الجانب الأهم هو أن تعلم ماذا تعمل؟

ولماذا تعمل؟

وماذا تريد من العمل؟

وليس مجرد مجهودٍ وإرادةٍ وعملٍ بدون معرفة ما تريد، فالإرادة وحدها غير كافية بدون معرفة، ولو كان العمل وحده أساس النجاح لأصبح الحمار ملك الغابة وأغنى الحيوانات فهو لا يتوقف عن العمل، لكنه يعمل بدون رؤية.

والبشر جميعًا لديهم عقول متقاربة تقريبًا في مستوى الذكاء، والفرق بينهم يكون في الاهتمامات.. فيمَ يهتم الفرد وفيمَ يفكر.. فيم يسعى وإلامَ يطمح؟

اسأل نفسك فيمَ تفكر وفيمَ تهتم؟

ستعرف من أنت ومن ستكون في المستقبل.

وإن حدث ورأيت شخصًا متفوقًا عليك في مجالٍ معينٍ فاعلم بأنه يقوم بعمل أشياء لا تقوم بعملها ولديه اهتمامات لا تعرفها، ومن المخجل جدًا أن تحاول تقليده دون معرفة ماهية تلك الأشياء.

وأكثر الناس تفوقًا في الحياة هم أولئك الأشخاص القادرون على التغيير من أنفسهم بشكلٍ مستمر.

هم الذين يدركون أنهم كانوا أغبياء في الماضي ويبدؤون بالتغيير والتطوير من أنفسهم.

بينما نجد الكثير من الناس لا يتغيرون ولديهم شخصيات متحجرة لا تتغير ولا تتبدل إلا نادرًا في إطارٍ محدود، وتستطيع أن تميزهم بصفاتهم في كلّ حين، وما يجعلهم أشخاصًا عاديين هو عدم قدرتهم على التغيير المستمر من نمط حياتهم وخوفهم من التغيير، وميلهم الدائم للعناد لمجرد العناد، ورفضهم المستمر للتعلم، واعتقادهم الراسخ بأنهم يمتلكون ما يكفي من العلوم لفهم الحياة.

إن الغرور والخجل والجمود الفكري والمعرفي وعدم تغيير الآراء والسير على نمطٍ واحدٍ في الحياة والخوف من التغيير، ماهي إلا أنواع من أنواع الغباء البشري التي يجب علاجها فورًا وتجنبها لمن أراد التفوق والإبداع.

***

دورة حياة الإنسان

الإنسان لديه عمر محدد ودورة حياة و أيام محدودة يمر بها، كما هو المنتج في علم الإدارة يمر وفق دورة حياة ويسير على مراحل متعددة في دورة حياته حتى يصل إلى مرحلة النضوج.

والإنسان كذلك يصل إلى مرحلة النضج بالأفكار وهي أعلى مرحلة يصل إليها الإنسان وفيها تتبلور أفكاره ويستطيع التمييز بين الصحيح منها والزائف بقدر كبير.

يبدأ المنتج بمرحلة الانطلاق وهي أهم مرحلة، ويجب عليه أن يبدأ بداية قوية وينطلق ويغزو السوق من أجل تحقيق النجاحات وهي نفسها مرحلة الشباب لدى الإنسان.

ثم مرحلة النمو والتطوير وفي هذه المرحلة يجب أن يستمر فيها بالنمو ويستمر فيها بالعطاء.

ثم مرحلة الاستقرار وفيها يكون الإنسان قد وصل إلى حالةٍ من الاستقرار النسبيّ وأصبح قادرًا على التعامل مع من حوله بخبرةٍ أكبر.

إذًا لكلّ شيءٍ في الأرض دورة حياة وعمر محدد، حتى الدول العظمى والإمبراطوريات الكبيرة لها زمن محدد مثل الإنسان، يبدأ بالنمو والتطور ويصل إلى النضج.. وينتهي بالانحدار.. وبالضعف.. والوهن.

فما علينا في هذه الحياة إلا أن نحاول وضع شيء يستحق البقاء بعد رحيلنا، ونحاول عدم ترك الدنيا كما كانت قبل مجيئنا وإضافة شيء نافع لها، من قبل أن تنتهي دورة حياتنا ونحن عبء زائد على أنفسنا وعلى من حولنا وعلى الدنيا بأسرها.

***

تقديم النصائح

ويحدث أن يأتي شخص إليك وبحسن نية يبدأ بتقديم النصائح بناءً على حياته الخاصة وعلى شعوره الخاص.

يمتلك معايير وحياة مختلفة عن حياتنا؛ لكنه يعتقد بأن الجميع يعيش مثل حياته وظروفهم نفس ظروفه لذلك عليهم سماع نصيحته.

ويعتقد بأن نصيحته نافعة للجميع، وهي في حقيقة الأمر نافعة له فقط، لأنه لم يعش حياة الآخرين، لذلك أحكامه ستكون ناقصة.

بل إن غيره إذا حاول تطبيقها قد تضره أكثر بكثير مما تنفعه.

والآخر في الغالب لا يستمع إليها ولا يجد لها أيّ تأثيرٍ في حياته.

لذلك لا جدوى من تعميم نصيحة واحدة على أناس لديهم معايير وحياة مختلفة؛ لأننا لا نعيش حياة الآخرين.

وعلينا أولًا أن نفكر بظروفهم وبطبيعة معيشتهم ثم نحاول تفصيل نصيحة تتناسب مع واقع معيشتهم قبل أن نتذمر عليهم ونعطيهم نصائح لا تتناسب مع حياتهم.

لذلك نجد الكثير من الناس ينفرون من النصيحة التي يقدمها البعض ومن الأسلوب المستخدم في النصح وليس من النصيحة نفسها.

وتكمن الكارثة الحقيقية عندما يحفظ الإنسان النصيحة ويحاول تطبيقها بحذافيرها في كلّ حينٍ وفي كلّ أزمةٍ يقع بها دون أدنى فهمٍ لتلك النصيحة، لأنه ببساطة لا يمكننا استعمال نصيحة واحدة في كلّ حين.

وينبغي التغييروالابتكارلحلول أخرى في كلّ مشكلة نقع بها، وهذا يعتمد على ذكاء الفرد نفسه وقدرته على التفكيروالابتكار.

***

السير في الأرض

الحياة عبارة عن كتابٍ مفتوح، ومصدر للتعلم، والكتب ليست المصدر الوحيد للمعرفة، وهي مرحلة أولية من مراحل التعلم ولا غنى عنها، لكنها ليست المصدر الوحيد للمعرفة.. فالسير في الأرض و اتباع العلوم النافعة مرحلة أعلى ويشترط فيها أن تكون مبصرًا في الأرض.

ستجد المعرفة في نفسك قبل كلّ شيء.. وفي عمق ما تشعر به.. ستجدها في باطنك الممتلئ بالخير والشر.. الممتلئ بالأفكار النافعة والضارة.. الممتلئ بالحب وبالكراهية. قال تعالى: ((وفي أنفسكم أفلا تبصرون)) الذاريات ٢١.

بعد ذلك ستجدها حولك في اللعب مع الأطفال.. وفي السماع لحديثهم البريء.. ومحاولة تفهم مشاعرهم والتفكير على طريقتهم، فهم لا يهتمون ولا يفكرون إلا بما يحبون وتجدهم مشغولين بهواياتهم بعكس الكبار الذين ينشغلون بالآخرين.. والطفل تثيره الدهشة والتساؤل لكلّ شيءٍ في الحياة.. والمعرفة للإنسان تزداد بمقدار قدرته على الدهشة وكأنه يكتشف الأشياء لأول مرة.

ستجدها أيضًا في الحيوانات.. وفي طريقة حياتها المعقدة.. في صعوبة حصولها على الأمان.. وفي صراعها الدائم من أجل البقاء.

ستجدها في الطيور بأنواعها الجميلة المختلفة.. في طريقة تزاوجها وفي نظام حياتها الدقيق.

ستجد الرحمة من أمٍّ تسهر وتكدح من أجل أولادها.. وفيها تتعرف وتدرك جزءًا بسيطًا من رحمة الله سبحانه وتعالى وتشعر بوجوده.

ستجدها في البحر.. وعالمه وأسراره.. في عمقه وسطحه وهيجانه.. في مده وجزره.. في هدوئه وغدره.. وتلاطم أمواجه. فالنفس البشرية شبيهة بالبحار في عمقها؛ فباطن البحر يشتعل بالنيران وفيه صراع دائم بين الأسماك المختلفة.. بينما سطح البحر يبدو عليه السكون والهدوء وفي عمقه التوتر والقلق والصراع، وكذلك هي النفس البشرية.

ستجدها و أنت تستمع إلى رجلٍ كادحٍ وهو يتحدث إليك بكلماتٍ صادقةٍ لا تعرف الزيف أو الخداع.. كلمات نابعة من مكابدة ومعاناة ومن و اقع معيشي يتحدث.

أو من رجلٍ آخر يبدو كالمجنون بمظهره وقد يكون عبقريًا، وعدم احتواء عبقريته ممن هم حوله قد دفعه إلى الجنون، فالمثل القائل: "خذوا الحكمة من أفواه المجانين" هو مثل صحيح.. فظروفهم الاجتماعية هي من جعلت الآخرين يصفونهم بالجنون وينظرون إليهم بتلك النظرة.. ولو كانوا من أصحاب النفوذ ورؤوس الأموال لاعتبرهم المجتمع عباقرة.

كلّ ما في الكون مسخر من أجل الإنسان ليتعلم. والإنسان هو الكائن الوحيد الحر في الكون، الذي يمتلك الإرادة والمشيئة معًا.. بينما بقية المخلوقات لا تمتلك الإرادة أو المشيئة وتتحرك في إطارٍ مرسومٍ لها، والإنسان هو الحر لذلك يتمرد ويسخط.

إن السير في الأرض والتأمل في الحياة وفهم أسرارها هو أعظم الطرق للحصول على المعرفة.

هناك من يمتلك المكاتب ويقرأ عشرات الكتب وعند حديثك إليه تجده يتشدق ببعض المصطلحات الإنجليزية والمصطلحات الفلسفية ليتباهى بها أمام الناس فقط، وعندما يتحدث في الحياة ونظرته لها تجده سطحيًا جدًا لا يعلم عن الحياة شيئًا، باستثناء تلك المصطلحات التي يحفظها.

وقد تجد رجلًا في آخر الصحراء أو في أعلى قمم الجبال أو في أسفل السهول والوديان.. أكثر معرفة منه في الحياة وفي طبيعتها. اذهب وتحدث إليه واستمع لتجاربه، وسر في الأرض كما أمرك الله سبحانه وتعالى وتعلم.

***

الحروب أكبر معلم للبشرية

ولأننا رفضنا السير في الأرض واتباع العلوم النافعة كما أمرنا الله سبحانه وتعالى، جاءت إلينا الحروب كبديلٍ عنها لتعلمنا وتفرض علينا التعلم. لكن هذه المرة تعلمنا بتكلفة وبمقابل باهظ وهو.. الألم.. والمعاناة.. والدمار.. وهي السُبل الوحيدة لعلاج أمراضنا بعد أن استعصى علاجها بالطرق السلمية، وما يحدث لنا اليوم أشبه بالعمليات الجراحية التي يقوم بها الطبيب من أجل شفاء المريض، وهي تبدو لنا في الظاهر شرًا عندما نجد الطبيب يمزق معدة المريض ليستخرج منها الورم، لكنها في الحقيقة خيررغم الألم الذي يعانيه المريض.. وهي محاولة لإنقاذ جسم مريض بالعمليات الجراحية. وكذلك هي الحروب، محاولة إنقاذ وطن مريض بأمراض الأنانية والكراهية، وأمراض الخداع والغش والظلم وغيرها. وتبقى الحروب عملية جراحية كبرى وقد يصاحبها الشفاء وفق إرادة الله سبحانه وتعالى. والحروب هي المعلم الأكبر للبشرية وقد تعلمنا منها الكثير..

تعلمنا ألا نحكم بظاهر الأشياء وأن نفكر بما وراء الكواليس من طبخات سياسية لا نعلم بها، وألا نصدر أحكامًا مسبقة سطحية..

تعلمنا كيف نستخدم خطوط الرجعة عندما نكون عالقين في سياستنا وفي علاقاتنا وفي حبنا وكرهنا وتخاصمنا..

تعلمت منها أنني عندما أقتنع بصواب فكرةٍ أن أحفظ خط الرجعة دائمًا وأضع احتمال أنها قد تكون على خطأ..

وتعلمنا أيضًا أن ما يُمكننا استخدامه في الحرب يمُكننا أيضًا استخدامه في الحياة اليومية من خطط وفنون ومهارات.

تعلمنا دروسًا في الجغرافيا وحفظنا جبال وتضاريس ومناطق وأسماء بلداننا، والكثير منا لم يكن يسمع بها من قبل: زنجبار، وكرش، وميدي وصرواح، وجبال هيلان، وتباب المصارية، وفرضة نهم وأسفل الفرضة، وجبال النهدين وعطان، ولواء العمالقة، ومعسكر ثومة، والسواد وصحن الجن، وقلعة القاهرة، وغيرها الكثير، دروس في الحياة، ودروس في الجغرافيا، أعظم من دروس المدارس نفسها والتي كنّا نحفظ أسماءها في أوقات الامتحانات فقط من أجل إسقاط واجبٍ ومن ثم ننساها بقية العمر.

تعلمنا دروسًا في التاريخ وعدنا لنتذكر ثورة أكتوبر وسبتمبر وتعرفنا على أهدافها.. ولماذا قامت؟

وضد من كانت؟

وماذا تحقق منها وماذا لم يتحقق؟

وتعلمنا أن التاريخ لا يعيد نفسه وإنما الإنسان هو الذي يكرر نفس الأخطاء.

تعرفنا على الأمبير الكهربائي وشدة التيار والفرق بين "الوات" و"الأمبير" والذي لطالما درسناه في المدارس في حصص الفيزياء ولم نكن نحفظ إلا أسماء الآلات ومصممي المخترعات واليوم تعرفنا عليها بشكل عملي.

تعلمنا كيفية استخدام الطاقة الشمسية لتوليد الكهرباء، وأن الحاجة هي فعلًا أم الاختراع.. أسطوانات الغاز عملت بدل البترول، وسيارات البترول تحولت إلى غاز، وتولّد الإبداع وكانت الحاجة والضرورة أم الاختراع.

تعلمنا الكثير نعم وخسرنا الكثير نعم وهذه هي تكلفة الحروب.

إنها تفقدنا الأرواح، تفقدنا الشعور بالأمان، وهي نتيجة لرفضنا التعلم من البداية.

لكن في مقابل ما خسرنا هناك مكاسب ما زلنا ننتظرها وفكر وتاريخ يسجل ومرحلة جديدة تبدأ بعد الانتهاء من الحرب..

مرحلة يبدأ فيها السّلم، ومن الحرب يخرج السّلم، ومن الصعاب ومن التجارب يتعلم الإنسان.

سيخرج السّلم في اليمن ويعم شمالها وجنوبها..

سيعم السّلم عندما نعود وتعود نفوسنا للتعايش وترفض كلّ مشعل حرب.. سيعود عندما نتعلم كيف نحل مشاكلنا وأزماتنا بالحوار، وأن هناك طرقًا حديثة في الصراعات يمُكننا استخدامها، وأن الصراع بالقوة وبالسيف قد انتهى زمانه وولى من غير رجعة.

وأصبح الصراع اليوم بالتنافس وليس بالتقاتل، أصبح الصراع اليوم بالتقدم وليس بالتأخر، بإحياء النفس وليس بإزهاقها، بالبناء وليس بالهدم.. بالعلم لا بالجهل.. وهذا هو الصراع القائم اليوم وهو حق مشروع لكلّ إنسان، أن يصارع ويتقدم كيفما يشاء. لأن الصراع ضرورة إنسانية ولا يستطيع الإنسان أن يلغيه وهو سنة من سنن الكون، وفطرة البشر هي حُب التملك وحُب السيطرة.

فما علينا إلا أن نحاول الاستفادة من هذه الفطرة ونوجهها توجيهًا سليمًا ونضعها في مسارها الصحيح بحيث يصبح الصراع شيئًا إيجابيًا وليس سلبيًا كما هو اليوم.

ونحن لا نريد إصلاح ما دمرته الحرب من مبانٍ وطرقات وبنى تحتية قبل إصلاح الفكر أولًا، ومحاولة إصلاح العقلية التي دمرته؛ لأننا سنختلف مجددًا وندمر ما تم إصلاحه إذا لم يتم إصلاح الفكر قبل كلّ شيء.

وسنعود لندمر مدننا مجددًا إذا توقفت الحرب دون إصلاحٍ للعقل والفكر، سيعود المرض من جديدٍ وبدون علاج، وينتشر السم في الجسد، ونتنازع ونفشل فشلًا لا صلاح فيه إذا لم نتعلم.

والعودة قائمة وممكنة وليست صعبة المنال.

والحرب سوف تنتهي كما انتهت حروب عالمية كبرى من قبلها..

اليوم أو غدًا أو بعده سوف تنتهي.. لله سنن في الكون ثابتة لا تتبدل ولا تتغير، وعلينا أن نثق بذلك ونبدأ بتغيير ما بأنفسنا، حتى يأتي التغيير الحقيقي.

***

التغيير ومحاولة إيجاد الحلول

الحال من سيئ إلى أسوأ، إلى أين نذهب؟

إلى أين المسير أيها اليمنيون؟

ألم يأن اليوم أن ندخل بالسّلم كافة.. كما دخلنا في الحرب كافة؟!

لقد هرمنا وطفحنا نريد الخروج من هذه النار..

من هذا العذاب، من هذا الكفر..

قال تعالى: ((قُتل الإنسان ما أكفره)) عبس ١٧

لقد ربط الله القتل بالكفر، ووصف مُسعِّر الحرب وموقدها بأنه أعظم من القاتل وهو الذي يشعل الفتنة..

هل فكرت يومًا إذا كنت منهم؟

قال تعالى: ((والفتنة أشد من القتل)) البقرة ١٩١

يعني ذلك بأن أصحاب الفتن قتلة وكفار..

لا أحد قادر على تغيير ظروفنا إلا الله سبحانه وتعالى ومن ثم أنفسنا وإرادتنا. أسماء الدول العظيمة التي نخشاها ما هي إلا أسماء والحكم كلّه لله.

فمهما كانت تلك الصعاب التي نمر بها علينا أن نكون متفائلين، برغم الكبد الذي نعيشه، برغم الحزن الذي يسكن فينا، برغم الألم الكامن بنفوسنا، برغم الحرب والدمار، برغم الفقر ونقص الأموال ونقص الثمرات ونقص الأنفس، برغم الحزن والجوع والعطش يجب أن نصبر.. يجب أن نصبر إذا كان ذلك من عند الله سبحانه وتعالى.. أما إذا كان ذلك بسبب البشر الانتهازيين فيجب أن ننتفض وأن نخرج بسيوفنا لنأخذ حقوقنا وننتزعها نزعًا ولا نسكت على باطل أبدًا مهما كان مصدره.

نحن نتفاءل ونصبر على الابتلاء الذي يأتي من الله والذي ليس للبشر يد في حدوثه.. أما المزايدات والمناكفات السياسية وأخذ حقوق المواطنين وبناء القصور والفنادق بدلًا منها فهذا الشيء الذي لا يجب السكوت عنه مهما كانت تلك المبررات.

والصبر على الابتلاءات لا يعني أنْ نجلس ننتظر فرج الله تعالى ونقف مكتوفي الأيدي بدون إرادة..

ذاك هو الذل والهوانُ والضعف وقِلة الحيلة، والصبر هو التفاعل مع المُشكلةِ تفاعلًا إيجابيًا.. محاولين إيجاد الحلول إلى أن نجد حلًا يُنهي المشكلة.

وأما الذهاب إلى الغرب والشرق لإيجاد حلولٍ فهذا الأمر يزيد الوضع سوءًا وهو ليس حلًا.

الجار يستغلنا ويمزقنا بأيادينا، فما بالنا بالغريب.

إذا كنّا نحن لا نُريد الخير لأنفسنا، والكثير منا يريد الحرب ويشعلها.

فكيف لكيري وبوتين أن يريدا لنا الخير؟!

الحل يجب أن يكون يمنيًا.. يمنيًا.

يجب أن نجتمع على طاولةٍ واحدةٍ ونعترف بالأخطاء التي ارتكبت ونحاول تجاوزها بحلول مرضية للجميع.

فنحن الآن في مركبٍ واحدٍ والمركب يغرق..

أنا أغرق و أنت تغرق.. والجميع يغرق، ومع ذلك فرحون ويتشفى كلّ واحدٍ في الآخر بما يحدث له وهو يذوق من نفس الكأس ومن نفس العذاب.

الجميع يبحث عن مصلحته فلماذا لا تكون لنا مصلحة واحدة مشتركة؟

الجميع له عمله فلماذا لا يكون لنا عملنا؟

الله يضع لنا الأسباب بين أيدينا ويحكم ويُسيِّر الخلق ويترك للإنسان الحكم بمقدار ما يعلم.

وكلما زاد وعي الإنسان.. نقصت حروبه وازدادت حريته.

ونحن نعلم بأن الحرب يجب أن تتوقف..

نعلم بأننا سننتهي ونتمزق ونفنى جميعًا إذا استمرت الحرب، الأمراض تنتشر، والمجاعة تهددنا، والفشل يطاردنا، والحقد في ازدياد وكلّ شيءٍ يزداد إلى الأسوأ، والحب والتراحم والتعاون هو الذي ينقص ويختفي من قلوبنا، وكلما دخل الحزب الفلاني لعن الحزب الآخر.. وكلما دخلة أمة لعنت أختها.. وظنت بأنها على سواء وبأنها على الحق المطلق..

بينما الجميع أصبح ملعونًا ومطرودًا من رحمة الله.

ويجب علينا أن نتطهر جميعًا وندخل في السّلم كافة، كما دخلنا في الحرب كافة.

***

الإسلام والإجرام

الإسلام هو ترك الإجرام والسِّلم في الأرض والتسليم المطلق لله سبحانه وتعالى وعدم اتباع السُّبُل..

هو العمل والإيمان والرسالة الخالدة ومنهج الحق الذي يجب اتباعه، وهو عكس الإجرام، والمجرم لا يكون مسلمًا.

قال تعالى: ((أفنجعل المسلمين كالمجرمين)) القلم ٣٥

اختلاف أمتنا رحمة عندما يكون الاختلاف في الفكر، اختلاف في الآراء، اختلاف في العلوم النافعة وتعددها، اختلاف في الشكل واللون والموطن، اختلاف وتنوع المسلمين وزيادة عددهم، هنا يكون رحمة.. أما الاختلاف بالسيف والقتل والتكفير والتنكيل والعداء للآخر.. فما هو إلا فشل وتنازع ونقمة.

الله سبحانه وتعالى قد أمرنا بالقراءة: ((اقرأ)).

وأمرنا باستخدام العقل: ((أفلا يعقلون)).

أمرنا بالتدبر: ((أفلا يتدبرون القرآن)) وأمرنا بالبحث: ((قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق)).

ولم يأمرنا بالتبعية والتقليد وتعطيل العقل واستحسان الردى وتشجيع الجهل..

القرآن بين يدينا الآن وقد اتخذناه مهجورًا وفيه النجاة وهو تبيان لكلّ شيء، وتجب العودة والاحتكام إليه.. بقلوب طاهرة نقية تريد السّلم وتبحث عن النجاة.

والقرآن لا يمسّ قلبه ولا يشعر به إلا المطهرون وهم الذين طهروا قلوبهم قبل طهارة جسدهم.

وأما عن الأحزاب التي مزقت دينها وشتّتت تجمعها فجميعها بالنار، جميعها بنار الأطماع والأحقاد والتخبط.. بنار الشهوات للوصول إلى السُلطة والتفرد بالحكم.. ولو كلّفها ذلك ضياع أمة وشعب بأكمله.

وهناك فرقة واحدة ناجية من هذه النيران ولها أوصافها، قد ذكرها الله سبحانه وتعالى في سورة العصر:

((إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات)).

***

الحقيقة الكاملة الناجزة

محلي محل الباحث عن الحقيقة لا أتقيّد بطائفة ولا بعصبية ضيقة ولا أكبس وجهي في الرمال كالنعامة خوفًا من سماع آراء الآخرين، بل على العكس تمامًا، و أفتح أُذني لسماع مختلف التوجهات والآراء بعقلية ناقدة واعية ليدخل إليها الفكر النقي الذي ينفع... وهو الفكر الذي يمكث في الأرض.. أما زبد الوهم وشذوذ الفكر فيذهب جفاء.

ولا أدّعي أني أمتلك الحقيقة الكاملة الناجزة، ومن يدّعي ذلك فقد وقع بالجهل الشديد.

ومن الصعب جدًا علينا حصر الحقيقة في فئة معينة أو جماعة محددة. والحقيقة أشبه بزجاجة قد وقعت علينا من السماء وكلّ فريقٍ قد أخذ قطعةً منها واعتقد بأنه قد امتلك الحقيقة بكامل محيطها ومساحتها وهو في الحقيقة لا يمتلك سوى جزء منها.

لذلك بدأت الصراعات وتوهّم الجميع بأنه يمتلك الحقيقة الكاملة الناجزة ودخلنا بالصراعات والحروب وتوهّم الكثيرون بامتلاك الحق المطلق، منهم من غرق بمقدار١٥ مل ومنهم من غرق بمقدار ١٠مل وهذا لا يفرق كثيرًا فجميعهم في الأخير غارق وواهم.

أما الأفكار فهي تتبدل وتتغير والجماعات والأحزاب نجدها تتنقل بين حقٍّ وباطل.

والحقيقة في الأرض متغيرة؛ لكنها ثابتة في السماء، وهي حق واحد لا يتجزأ.

في الأرض تتبدل وتتغير باختلاف الناس وتبدل وجوههم.

ومن كانوا على حقٍّ وهم مستضعفون..

أصبحوا على باطلٍ عندما كثروا وزادت قوتهم وتوسّع نفوذهم.

ومن كانوا على حقٍّ وهم في المعارضة..

أصبحوا على باطلٍ عندما وصلوا إلى السُلطة و انكشفت أقنعتهم.

ونحن في الغالب لا نكاد نجد الحقيقة مع الأكثرية.

قال تعالى: ((ولكن أكثركم للحق كارهون)) الزخرف ٧٨

وقال تعالى: ((و أكثرهم لا يؤمنون)).. ((و أكثرهم كاذبون))..

وقال تعالى: ((وإن تتبع أكثر من في الأرض يضلوك)) الأنعام ١١٦

إذًا الحقيقة ليست بالكثرة والكثرة ليست دليلًا على الحقيقة.. بل العكس تمامًا قد يحدث. قال تعالى ((قليل من عبادي الشكور) سبأ ١٣

أنواع الحقائق

أحيانًا تبدو لنا الحقيقة كمجموعةٍ من الخدع البصرية، ما إن تبصر الشيء وتظن بأنه الحق الكامل حتى يتضح عكسه تمامًا.

وكأنّ هناك حقيقتين يمتلكهما طرفان بنسب متفاوتة وهناك صراع بين حقٍّ وحقٍّ آخر.

ولن تتمكن من معرفة أن الهرم هرمي الشكل حتى تراه من جميع جوانبه، من موقع واحد ستراه مثلثي الشكل، كذلك هي الحقيقة لن تراها كاملةً ولن تستطيع الاقتراب منها إلا إذا قرأت للجميع واستمعت للجميع دون تعصب أو تحيز مسبق ووضعت نفسك بمكان من تختلف معه..

وتصورت نفسك تمر بنفس موقفه.

فحينها قد تتصرف مثل تصرفه ولا ترى الحق إلا من زاويةٍ واحدةٍ وهي زاوية المصلحة الشخصية والمنفعة الخاصة.

نعم، هناك من الناس من يجحد بالحقائق ويجدها حقيقة كاملة أمامه بدون زيادة أو نقصان ومن فم الأنبياء أنفسهم لكنه يجحد بها ويكفر إرضاءً لكبريائه وغروره وهذا هو الكفر المبين.. هو الجحد بالحقائق رغم تبينها. وتراه ينظر إلى الحقيقة بعينه ولكن لا يبصرها بقلبه.

فقد حدث وطرقت الحقيقة أذن أبي جهل ومن فم النبي محمد ﷺ نفسه، فنظر إليها ولكن لم يبصرها..

قال تعالى: ((وتراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون)) الأعراف ١٩٨

ومن الناس من يشعر بالجهل حيال الأشياء ويبدأ بالتساؤل للوصول إلى الحقائق.. لأنه يخشى من عبادة الله على جهل.. لأن الجهل سبب لكلّ الشرور.. والجهل قد يوقعك بالشرك من حيث لا تعلم.

الجهل يحدث بسبب عدم التفكر.

يحدث بسبب تعطيل العقل.

يحدث بسبب إحياء العقلية التبعية والتي بدورها تؤدي إلى الجمود والتكلس الفكري والمعرفي.

قال تعالى: ((وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون)) يوسف ١٠٦

يحدث بسبب الإنسان الذي يسفه نفسه ويستصغرها ولا يعطيها حقها من التفكروالبحث والتأمل ويسلم ويبيع عقله بثمنٍ بخسٍ لشخصٍ آخر يضله.

يجد راحة البال في الاستماع إلى الأكاذيب المريحة، ويبدأ بتصديقها على الفور، وتراه متحمسًا للخطب الحماسية وللشعارات الرنانة بأسمائها وأنواعها المختلفة وما هي إلا "أفيون" لتخدير العقل، وسبب رئيسي في تعطيله عن التفكير والتساؤل، ومنها يجد الإنسان مهنة التفكير وتشغيل العقل مهنة مرهقة وعملًا شاقًا، ويمضي وقد باع عقله واستسلم للجهل ووقع فيه وفق إرادته واختياره.

حقائق مرهقة.. أكاذيب مريحة

أتألم كثيرًا عندما أمتلك حقيقة أو جزءًا من الحقيقة وأعتقد بصحتها ولا أستطيع التحدث بها وإخراجها إليكم بكلمات مناسبة تستحق القراءة، حتى إني لا أستطيع التكلم بها وتختفي من أمامي الكلمات عند بداية الحديث مع الأشخاص؛ لتبقى كامنةً في روحي جاثمةً على صدري تود لو تخرج وتهمس لقلب كلّ قارئٍ وكلّ باحثٍ عن الحقيقة؛ كما تهمس في قلبي همسًا.

أحيانًا أفكر بأن تلك الكلمات هي من أجزاء الجسم نفسه وتبقى معلقة بروحك وبجسدك ولا يُمكنك أن تتحدث بها حتى لنفسك.

بينما أنت تستمع إليها ليلًا مع نهار دون توقف، وهي تؤلم كثيرًا وتريد أن تخرج وترى النور لكنها تجد صعوبة في ذلك وتحتاج إلى قدر أكبر من المعرفة والعلوم لإخراجها.

ونادرون أولئك الأشخاص الذين استطاعوا إخراجها كما هي كامنة في نفوسهم دون زيادة أو نقصان أو تكلف.

وأما الملل والفراغ فأنا لا أعرف طريقه ولا أجد له في حياتي ملجأ، وهو عقاب لمن لا يعمل ولا يتفكر.. فالحياة رائعة جدًا ومثيرة للتأمل والدهشة عندما أبحث بشغفٍ عن الحقائق و أتوصل إليها..

لكني في المقابل أشعر بالإرهاق والتعب الشديد حيال البحث وكثرة التأمل.

والقول الصحيح هو عدم التطرف ومحاولة التوسط بين الكسل والجمود الفكري والتكلس العقلي والمعرفي من جانب، وبين البحث والتأمل المرهق من جانبٍ آخر، واختيار أوسط الأمور بينهما فديننا دين وسطية واعتدال.

هل نرى الحياة على حقيقتها؟

الحياة صعبة وفيها شر لا بد أن نعيشه، وهو لحكمةٍ نجهلها ولا نستطيع إدراكها بحواسنا المحدودة.

في الحياة قوانين سرمدية تسري على الجميع، وفيها تتساوى جميع فرص الخلق، ومنها نحصل على نفس القدر من الفرص في الحياة للحكم علينا في الآخرة، رغم اختلافاتنا في الظاهر، وبمقدار ما يزيد علمنا، يزداد فهمنا وإدراكنا للواقع.

ونحن في الغالب لا نرى الأشياء على حقيقتها ونرى بأعيننا الشمس أكبر من النجوم.. والحقيقة أن النجم أكبر.. أنت الآن تنظر إلى السماء وترى النجوم الجميلة.. وتتأمل في أحد النجوم وتتفكر فيها.. وتقول يا للروعة! وقد يكون في تلك اللحظة غير موجود أصلًا وقد انفجر منذ مئات السنين.

إن كلّ شخصٍ يرى الدنيا كما يعيشها.. فعلى سبيل المثال: عندما تكون سعيدًا ترى الدنيا جميلةً وتتمنى أن تعيش فترةً طويلةً وعندما تكون حزينًا ترى الدنيا بتشاؤم وإحباط كبير وتتمنى الموت حينها.

والحياة بالفعل جميلة وكلّ شيءٍ فيها يثير الدهشة.. النملة وأسرارها.. البحر وأعماقه.. الطيور وأنواعها.. الجمال موجود في الأرض بكثرة.. كذلك القبح موجود بكثرة.. الرحمة موجودة.. والحب موجود.. والبغض والعداء والكراهية موجود.. وكل ما نراه من جمال بأعيننا.. ما هو إلا شكل مبسط من

الجنة ونعيمها.. وما نراه من شروروكراهية هي أيضًا جزء من الناروشرورها.. والنار والجنة تقبعان هنا بصورة مبسطة.. هنا تقبع جهنم الصغرى وتقبع جنة مؤقتة، لا خلد فيها ولا حب دائم.. ولا كراهية دائمة وإنما تبادل منافع ومصالح مشتركة تسودها في الغالب.

وما الحياة في حقيقة الأمر إلا محطة انتقالٍ ولم تكن يومًا دار الخلود، لكننا ننسى ذلك ولا نحب أن نتحدث حيال الموت.. ثم نكثر الحديث عن الوهم، وأكبر وهمٍ في هذا الزمن هو الحُب الذي يتحدث الجميع عنه والذي نكثر الحديث حوله مع أننا لا نجده في أرض الو اقع.

إن الموت هو الحقيقة الظاهرة والحب هو الوهم والنقص الذي نعاني منه لذلك نحاول أن نغطي نقصنا بكثرة الحديث عن الحُب حتى يصبح حقيقة، وحديثنا عنه أشبه بذلك الجبان الذي لا يتوقف بالتحدث عن شجاعته من أجل أن يغطي ذلك الجبن الكامن في نفسه.

***

جهنم الصغرى

الحديث عن يوم القيامة في بلادنا لم يعد يحتاج للآذان لوصفه والتحدث عنه فقد صار واقعًا فعليًا، فقط اذكر أسماء وأهوال القيامة ستجدها موجودة واقعًا أمامك.

نعم، نحن الآن في نارٍ وهذه حقيقة واضحة ونحاول الخروج منها، وكلما أردنا أن نخرج منها أعدنا فيها، ويبدو لنا أن الخروج منها ليس بالسهل، والخوف من أن تكون نارًا أبدية.

لقد دخلنا نار العداوة والبغضاء ومنها نصطلي في الجحيم.. نار الحقد والطائفية والتي أحرقت الجميع.. نار الطمع.. والأنانية وهي نار إبليس المصنوع منها.. نار "نفسي.. نفسي".

دخلناها بمحض إرادتنا وكانت من ضمن مشيئتنا ولم يجبرنا أحد على ذلك الاختيار، بل على العكس تمامًا فنحن من طلبناها، لأن نفوسنا كانت من نارٍ ولا تستطيع العيش إلا في بيئتها، حتى إننا تعودنا على العيش فيها ولم نعد نشعر بالجحيم رغم أننا نعيشه.

ولا نقصد هنا نار الآخرة والنار المادية التي نعرفها، لا.. بل نار الحسرة والندامة.. نار الخوف والمهانة.. نار الحرب ونار السّلم.. نار من تحت أرجلنا من مدافع وقنابل ودبابات.. ونار من فوقنا من طائرات وصواريخ.. ونار أخرى تلبسنا وتفرقنا بين فرق وطوائف وبين مؤيد ومعارض.

الشعب لم يحيَ يومًا حياة طيبة في ظل هذه النيران ولم يستطع الجميع أخذ حقوقهم بمفردهم؛ لأن الحقوق في بلدنا لا تعطى للجميع ويجب على البعض أن ينتزعها نزعًا بمفرده، وقد فعلوا ذلك فعلًا أصحاب المخالب القوية و انتزعوا حقوقهم بمفردهم.

منهم من انتزع حقه فقط.

ومنهم من تعدى حدوده و انتزع حقه وحق غيره.

ومنهم من بقي مكتوف الأيدي و انتزعوا حقوقه.

ومن هنا بدأ الظلم واستحققنا العذاب.

خط الرجعة وإمكانية العودة

ونحن لا نريد أن نصور الوضع بأنه مأساوي للغاية وبأن طريقنا مسدود إلى الأبد وأن العودة غير ممكنة.

نعم نحن في ضياعٍ ووهنٍ وتشتُّتٍ وكان ذلك من ضمن مشيئتنا واختيارنا، لكننا نمتلك خط رجعة للعودة وهي أيضًا من ضمن مشيئتنا ومن اختيارنا ((وإن عدتم عدنا)).

فما زلنا نمتلك من النعم الكثير. ومشكلتنا أننا لا نشعر بقيمة الأشياء إلا عند ضياعها ونبدأ بعد ذلك بالتحسر عليها.

نعم نستطيع العودة إذا تركنا كلّ مشعل حرب وتركنا كلّ نفس ممتلئة بالنار..

نستطيع ذلك إذا امتلكنا العقل الواعي الذي يعي ما يتسلل إليه من أفكار نافعة وضارة..

ذلك العقل المتحرر من الاستسلام المقيت والمخزي للأشياء.. والخضوع التام لثقافة التجهيل والشعور بالنقص الكامن في نفوسنا.

ثم إن الحروب كما تحدثنا تبقى أكبر معلم للبشرية وقد تعلمنا منها الكثير.

وما نريده الآن هو ذلك الخط الذي تعلمناه في السياسة "خط الرجعة". ونحن نمتلك ذلك الخط ونعرف الطريق جيدًا وقادرون على العودة وقادرون على اختياره.

آراء وليست حقائق

_ الحزن والسعادة مقرونان معًا، والعسر يكون مع اليسر في نفس اللحظة "إن مع العسر يسرًا" وليس بعد العسر يسر.

_ الأفكار الجديدة عبارة عن توليفة لأفكار قديمة وحصل لها تطور، ولا جديد تحت الشمس، وكلّ فكرةٍ جديدة، هي محصلة أفكار قديمة.

_ كلّما أردنا الخروج من الحرب أعدنا فيها لننضج أكثر، ونتعلم أكثر فالحروب أكبر معلم للبشرية.

_ كلّ شخصٍ لديه ذكاء من نوع خاص، والغبي هو الذي يعتقد بأنه أذكى من غيره في كلّ شيء.

_ ما نشاهده بأعيننا ليس هو الحقيقة المطلقة ونحن لا نستطيع أن نرى جميع الأشياء على حقيقتها لذلك نصدر أحكامًا سطحية.

_ كلّ حُب في حياتنا معرض للزوال إذا لم يشتمل على الرحمة ولم نقصد وجه الله فيه.

_ الأحلام في حياتنا تبقى خيالًا وأماني ولن تتحقق إذا لم نبدأ من الآن تحقيقها.

_ العلم غير النافع هو وهم معرفة وسينتهي قريبًا، ولن يمكث في الأرض إلا ما ينفع الناس.

_ الناس لديهم فرص متساوية للحكم عليهم في الآخرة، رغم اختلافاتهم في الظاهر.

_ معظم البشر يعتقدون أنهم أفضل من غيرهم بكلّ شيءٍ ولو وُكِّلت إليهم المهام لانتهت المشاكل والحروب.

_ كلّما حاولت التقرب من شخص تحبه زاد بعده عنك وزادت كراهيتهُ لك لذلك ابتعد أفضل.

_ المشاعر والعواطف تتبدل وتتغير، ومن كان يحبك اليوم قد يكرهك غدًا، وما يربط الناس بشكل دائم هي المصالح المشتركة.

_ الناس في الغالب لا ترى الحقيقة إلا من زاوية واحدة ولا يحكمون إلا من جانب واحد، ومهما حاول الإنسان الحياد فهو متعصب بالفطرة.

***

القراءة

لا أُخفي عليكم أن القراءة أصبحت ضرورةً ملحة، واحتياجًا أساسيًا من أجل البقاء، ولا أستطيع تركها، وكلما توقفت عنها سقطت إلى مرحلة الحيوانات، وانغمست في الشهوات والملذات، ومن ثم أعود لها بقوة أكثر لأني أجد فيها حياتي، وفيها تكون سعادتي، واليوم الذي يمضي دون قراءةٍ أشعر بأنه يوم ناقص من حياتي.

إني أبحث عن المعرفة كما يبحث الجائع عن الطعام، وهذه هي منهجية "سقراط" في البحث عن المعرفة.

ولا أعلم إن كان ذلك الشيء إيجابيًا أم سلبيًا؛ لأن كلّ شيءٍ في الحياة له كلفة وأضرار.

فالبعض يرى بأن العامي البسيط ينجح في الحياة أكثر من الذي يقرأ ويتعمق بالتفكير وهذا أكثر ما أخشى.

وأعلم أيضًا بأن الحظ هو الذي يسيطر على العالم، وأن كثرة التعب في الحياة أمر غير مجدٍ.

لكني أعود وأفكر بأن هذا ليس الصواب دائمًا، والصواب هو أن الحظ موجود، وقد يحكم على بعض المواقف في أعمالنا، ويترك لنا البعض منها لاختيارنا، حتى لا نقضي على إرادتنا قضاءً تامًا.

وأفكر بأنه يمكننا أيضًا أن نوفق بين ما نحب وما نكره من أعمال.

فالله سبحانه وتعالى قد قسم لنا الوقت وجعل لنا النهار للمعاش وطلب الرزق والعمل والكدح في الأرض.

بينما المساء جعلهُ لنا وأن نعمل فيه ما نحب من أعمال القراءة والكتابة أو سماع موسيقى هادئة.

ولا أرى العمل في المساء إلا نوعًا من أنواع العبودية الجديدة.

***

_ أنا أنسى كلّ ما أقرأ وأشعر بعدم الفائدة من القراءة، ولا أتغيّر بعد قراءة الكتب، فما الحل؟

_ أنت لا تنسى كما تتصور، في عقلك الباطن يُخزن كلّ ما تقرأ، وكلّ ما تعلمت يعود عليك، لكن بشكل آخر، فقط إذا كنت تفهم ما تقرأ، فالكثير منا يقرأ ولا يفهم، لذلك لا يتغير، ولا يجد فائدة لما يقرأ.

_ وكيف أعلم بأني أفهم أو لا أفهم ما أقرأ؟

_ إذا قرأت كتابًا واستطعت أن تبلور أفكاره بعقلك والتحدث حوله من تلقاء نفسك بعد قراءته بفترة زمنية، وكنت تعيش تجارب مختلفة تزيد من درجة قناعاتك بما قرأت وتعلمت، فأنت حينها تفهم ما تقرأ وتستفيد مما تقرأ وتُكوّن معرفة حقيقية. فالمعرفة هي محصلة قراءة وتجارب وخبرات سابقة..

أما إذا كنت تحاول العودة إلى الكتاب من أجل الكتابة منه فأنت لا تفهم ما تقرأ، وتقوم بحفظ المعلومات فقط، فالمعرفة شيء وحفظ المعلومات والتواريخ والأحداث شيء آخر.

_ وهل يمكن للقراءة أن تؤثر على الشخص بشكل سلبي؟

_ نعم يمكن، إذا كان الذي يقرأ ممن يستحب العمى، فهي ستزيده عمى بالتأكيد، حتى القرآن نفسه قد يؤثر عليه بشكل سلبي، لأن ذلك هو اختياره، ونجد البعض يضل رغم قراءته للقرآن، والسبب أن نفسه تريد ذلك، ولا تستطيع أن ترى الأشياء إلا على شاكلتها.. قال تعالى: ((قل كلٌّ يعمل على شاكلته)) الإسراء ٨٤

فالنفس البشرية كلما كانت أكثر سموًا وصفاءً، أعطت معرفةً أنقى وأكمل.. وكلما كانت النفس مقيّدةً بغشاوة الحياة فإن عطاءها المعرفي يكون مغلوطًا أكثر. وهذا هو ما يفسر اختلاف الناس في الأفكار وفي الأفهام. فكلّ إنسانٍ لا يرى من الوجود إلا نفسه ولا يشهد سواها.

***

الكتابة

ويحدث أن ينتهي فكرك، ويجف قلمك، ولا تستطيع أن تكتب شيئًا يستحق القراءة، والسبب ببساطة، هو أنك لا تقرأ.

ويحدث أن تبدأ بكثرةٍ كتابة الخواطر اليوميّة، ذهب فلان، ومات علان، و انقلبت حافلة، وتكتب فقط باليوميات والشخصيات، وتفتقد إلى الحكمة والفكرة وعمق الموضوع، وهي كتابة تلقى قبولًا في البداية؛ لكنها لا تدوم ولا تمكث في الأرض، وسرعان ما تنتهي بانتهاء ورحيل كاتبها، ولا يبقى ولا يمكث في الأرض إلا ما ينفع الناس.

قال تعالى: ((فأما الزَّبد فيذهب جُفاءً وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض)) الرعد: ١٧.

ولا طريق ولا مفر لكلّ كاتبٍ سوى القراءة والمداومة عليها، وأن يقرأ أكثر بكثير مما يكتب.. حتى يجد الكلمات تتدفق وتتبلور وتخرج من تلقاء نفسها، ولا يعلم من أيّ كتابٍ قد قرأها وتصبح من صميم أفكاره.

أن يكون عقله كالخزانات التي تحتفظ بالمياه لتقوم بالاحتفاظ بالأفكار بالعقل، وعند البدء بكتابتها سوف تعود عليه تلك الأفكار بشكلٍ آخر، بعد أن تفاعلت وخزنت وتبلورت وتخمرت بعقله الباطن، ثم خرجت بأسلوبه وفق التجارب المختلفة التي يعيشها.

ومهما كانت تلك الأفكار التي تقرأها حتى إن كانت قليلةً فيجب عليك أن تخزنها بعقلك إذا كنت قادرًا على ذلك، وإذا لم تستطع فدوِّنها قبل أن تفقدها.

والأفكار تتبدل وتتغير بتغير مستوى ثقافتك وبزيادة مستوى معرفتك فلا تناقض ولا خوف في كتابتها مهما كان حجمها ومهما كانت درجة صعوبة إقناع الآخرين بصحتها.

إذا أردت أن تكتب وتلامس قلوب القراء وتكتب شيئًا يستحق القراءة فينبغي عليك أن تحب ما تعمل وأن تقرأ بعقلية ناقدة واعية في جميع المجالات.. الأدب، والفلسفة، والدين، وعلم الاجتماع، والسياسة، والتاريخ، والشعر.. والرو ايات التاريخية التي تجسد حضارات وتاريخ الشعوب.

أن تقرأ كلّ ما يقع في يدك بحيث تصبح عاشقًا للمعرفة، بشرط أن تحمل معك غربالًا كبيرًا لغربلة الأفكاروأخذ ما ينفع منها.

فالقراءة بدون غربلةٍ قد تزيدك عمى خصوصًا إذا كنت ممن يستحب العمى وممن يبحث عن الضلالات في الغرف المعتمة التي لا نور فيها ولا هدى.

ويجب أيضًا ألا تنسى القرآن عند الكتابة فمن القرآن تستمد الثقة والقوة والنور والاعتزاز بالنفس وتستمد قوة الكلمة والعبارة.. كما أنني أستمد معاني يعجز التعبير عن وصفها.

***

الهارب من السعادة

لقد كنت أعلم بأن دوام الحال من المحال.. ودوام السعادة طويلًا في نفس المكان يعد من المستحيلات.. ونصف السعادة هي السعادة بالنسبة لي.. والسعادة المطلقة مستحيلة أو قد تأتي للحظات ويتبعها حزن عميق.. لذا كنت أهرب من كلّ شيءٍ يسعدني.. حتى لا يتبدل الحال إلى الحزن.. وكنت أفضل أن أبقى بعيدًا.. خوفًا على القليل الذي أملك والذي يسعدني كثيرًا.. فأنا أملك قلبًا واحدًا فقط.. وحياة واحدة.. وحبًا واحدًا.. لذا كنت أحافظ على القلب.. حتى لا يتحطم ولا يتكسر، أحافظ عليه بالابتعاد عن السعادة المؤقتة والتي يتبعها أذى وحزن عميق.. لأن وراء كلّ رجل فاشل قصة حب فاشلة.. ولأن الحُب والسعادة لا يبقيان طويلًا في نفس المكان.. والحُب الحقيقي يجب أن ينبع من الداخل أولًا.. ليكون طاقة إيجابية نحصل عليها وتحيط بنا وتساعدنا وتزيدنا قوةً وثباتًا ولا تحطمنا أو تضعفنا.. لأن الحُب لا يشترط أن يكون لشخص محدد.. ويجب أن تحب مكانك ومن حولك ونفسك أولًا.. لأن الحُب لشخص محدد قد يتحول بعد ذلك إلى كراهية وأنانية مفرطة.

ويتحدث الرجل بعد ذلك بأنه قتلها لأنه يحبها!

والمرأة تخبرك بأنها تركته يتعذب لأنها تحبه!

وهذا هو الهُراء الذي نعاني منه وهذا هو الحُب الذي يجب أن نبتعد عنه وهذه هي السعادة المؤقتة التي أتحدث عنها.. وهكذا تكون نهايته..

يقتلها لأنه يحبها!

أو تتركه يتعذب ويتألم لأنها تحبه!

ثم نجد مليون ألف تعريف للحب بعد ذلك.. وكل تصرف عدواني يصدر من الآخر يصفه بالحب.. حتى يصبح القتل نفسه والعذاب حبًا!

***

الخوف من النهايات

_ لكني لا أعلم لماذا لم أستطع أن أزيل عيوني من عليها، وكانت نظراتي إليها حادّة جدًا إلى درجة الرعب.

_ أمعنت في التحديق والنظر إلى عينيها حتى قالت: "إنك تخيفني بنظراتك".

_ توقف الكلام ولم أستطع حينها التحدث والرد عليها بكلمات مناسبة، وكانت نسبة غبائي تزداد كلما حاولت التحدث إليها.

_ كانت مشكلتي أني لا أُجيد فن التحدث مع الفتيات الجميلات.

_ وعند المساء أبدأ بكتابة مذكراتي عن تلك اللحظات، ويبدأ الندم...

_ لماذا لم أخبرها أن حِدّة نظراتي كانت بسبب شدة الإفراط في الخوف عليها؟

_ لماذا لم أخبرها بأني أشعر بالسعادة كلما نظرت إلى عينيها؟

ثم فكرت بعد ذلك بأن الخوف ليس في رفضها للحب.. أو القبول.. والخوف هو فيما بعد البدايات.

أسوف يستمر الحُب؟

وتستمر سعادتي كلما نظرت إلى عينيها؟

أم أنها رغبة وتنتهي؟

أم هي محاولة ظهور وليست حبًا حقيقيًا؟

أو قد نتغيروينتهي الحب وينتهي زيفه؟

النظرات خادعة.. وجمال الأشياء لا يدوم.. هذا ما فكرت فيه.. ليس الخوف من الرفض.. بل الخوف من حواسنا وعدم تصديقها.. لذلك ننسحب قبل زيادة الأضرار من الطرفين.. لأن الأشياء لا تكون جميلة إلا في بدايتها وهذا ما يجعلنا نخشى من النهايات.. هو الخوف الشديد من ما نراه بأعيننا ونشعر به بحواسنا المحدودة.. فقد ينتهي هذا الشعور.. بانتهاء اللحظات العابرة.. لذلك ننسحب.. ولا نزعج أحدًا ولا نعطي وعودًا زائفة.

***

المرأة العميقة

المرأة العميقة أنيقة الفكر.. هي الأجمل.. هي كالبئر الارتوازية لا يصل إليها إلا من يبذل الجهد الجهيد.. ويبلغ المشقة ويرتدي رداء الصبر من أجل الوصول إلى قلبها.. ومن يصل إليه تغلق البئر عليه فلا يدخل بعده أحد أبدًا، وحتى إن تركها في يوم من الأيام أو مات فلا تنساه مطلقًا، وإن ادّعت غير ذلك.

هي امرأةٌ كلّ الرجال في نظرها سواء مهما تميزوا إلا من اختارته.. لا ترى سواه ولو كانت وسط ألف رجل.. فالجميع أمامها متساوون إلا هو..

هي امرأةٌ في أصلها شريفة وعفيفة وطيبة وأمينة وصادقة ولطيفة.. لا تعترف بالعلاقة السطحية الكاذبة.. وهي تهتم بالحب الصادق الحقيقي والعميق والناضج فحسب..

فقط تريد من يملك عقلها وقلبها.. فإذا ما وصل ملّكته عقلها وقلبها، ويكون شعارها حينها هو ممنوع الخروج فأنا لك وحدك.. أنا لك على طول.

هي امرأةٌ شغوفةٌ بالوقت.. لذلك لا تنتظر الرجل أبدًا لكي يحدد مشاعره تجاهها.. امرأة صادقة.. فلا تُجمِّل الأمور..

كما تتوقع مستوى الصراحة ذاتها من الرجل.. حتى تسفر أعماق قلبه.. روحًا وعقلًا.. فتسأله أمورًا لم تخطر على باله، ولم يتحضر مسبقًا للإجابة عليها..

فقد تسأل أشياء عميقة من أول لقاء..

تعلم ما تحب وما تكره.. وتعلم متى تظهر حبها ومتى تخفيه..

تعلم حقيقة الرجل ومشاعره و أفكاره وهواجسه، وهي تصرح عمّا تكتشفه بعفوية شديدة.

_ "إنك ترى الحياة من نافذة واحدة، ولا تستطيع تفسير الأحداث من حولك، تحكم بظاهر الأشياء، أحكامك سطحية للغاية، متواضع جدًا في المعرفة"، هذا ما قالته المرأة العميقة في بداية حديثنا..

_ كانت تعتقد بأنها امرأة عميقة جدًا، وترى الأشياء بعمق، وتنعتني بالرجل السطحي.

_ أنا الذي ظننت بأن فلسفتي قد بلغت ما جاء به أفلاطون وسقراط، وكانط، وهيجل، وجهابذة الفلسفة، وبلغت ما لم يبلغه نيتشه في كتابه "هكذا تكلم زرادشت".. أنعت بالسطحية والتواضع في المعرفة؟!

_ مرحبًا أيتها العميقة: في الغالب المرأة هي التي تكون سطحية ولم نسمع عن تميز امرأة في الفلسفة أو الموسيقى أو الأدب. ومعظم العظماء في هذا المجال كانوا من الرجال مع أن هذه الأعمال لا تحتاج للقوة ليتفوق فيها الرجل على المرأة.. أليس كذلك؟

_ أرأيت أنك رجل سطحي وتفكيرك محدود جدًا، وهل تعتبر الأسماء التي تحفظها.. نيتشه، وهيجل، وكانط، هي الفلسفة، وحديثك عن المرأة هو مبلغ العلم؟

المرأة لا تحب الفلسفة لأنها عملية جدًا، وتحب الأشياء الملموسة الو اقعية.. وهذا هو العمق، وهذه هي فلسفتها في الغالب وليس الخيال والتوهان بالأفكار. ثم إن هناك استثناءات ولكل قاعدة شواذ.

_ جاء الدور عليّ للرد وبسرعة: كلامك هذا يدل على أن المرأة لا تفهم في الحب إلا على شكل مادي ملموس وو اقع عملي.. وأما الخيال وإطالة السهر في المساء لأنه عاشق والتفكير بالآخر فليست إلا من أعمال الرجل المسكين.. بينما هي تنام مبكرًا لتستيقظ مبكرًا ولا تفكر إلا بالأشياء العملية.

رغم ذلك أقرّ وأعترف بأن المرأة أكثر و اقعيةً من الرجل وأعمق منه في هذا الجانب ولم نسمع عن امرأة قد انتحرت أو أصبحت تتعاطى المخدرات والخمور لمجرد أن رجلًا تركها.. وكل هؤلاء المغفلين والحمقى كانوا من الرجال.

***

استيقظ إنهم يسرقونكَ

الكاهن يسرق عقلك، والسياسي يزيف وعيك، والبرامج تأخذ وقتك، والواعظ يخدعك ويضللك، والجدالات العقيمة تفقدك طاقتك، ومتابعة الإباحيات تسلب حريتك، والوقوع في الملذات تزيد من تعاستك، والكتاب الجيد هو الوحيد الذي يحاول إعادة وعيك وتحرير عقلك بعد أن سرقوك.

***

الإصلاح في الوضع الراهن

أحيانًا أصحو من وهم ما نحن عليه وأعود وأفكر بأن الإصلاح الحقيقي في الوضع الراهن ليس بلوم الآخرين لعدم القراءة والكتابة وتحميلهم ما لا طاقة لهم به.

والإنسان يقرأ ويكتب عندما يشبع بطنه.

والإصلاح في المقام الأول هو مسؤولية الدولة، وإذا صلح النظام صلحت أحوال الرعية.

والإصلاح يكون بمحاولة تغيير مستوى معيشة الفرد أولًا.

الناس لا تحتاج إلى المواعظ والنصائح بقدر ما تحتاج إلى تغيير واقع معيشتها وإشباع بطنها وتحسين حياتها.

ومن لا يمتلك قوت يومه لن يستطيع أن يرى الحياة إلا على شكل لقمة العيش، ولن يفكر إلا كيف يشبع معدته، ولا يحق لأحدٍ أن يلومه على ذلك.

***

الإنسان بين الشرق والغرب

الإنسان هو نفس الإنسان، الغرب ليسوا ملائكة، ونحن لسنا شياطين، والحياة صراع بين مصالح مختلفة، والأيام لمن غلب، والعلو والترفع والتكبر في الأرض لن يدوم، والإنسان الذي يفرط بإنسانيته في الغرب ويبكي على الحيوان عندما يموت.. هو نفس الإنسان الذي قتل الملايين في اليابان والعراق وصنع الأسلحة الكيميائية وضرب بالقنابل الذرية.

***

المرأة المثقفة

ومن الرجال من يريد الزواج من امرأة مثقفة حتى تساعده في متاعب الحياة، ويعتقد بأنها أكثر وعيًا، وقادرة على تفهم مشاعره، ومنها يجد حديثًا ممتعًا عند التحدث إليها، وتبادل الأفكار معها، ويبتعد عن ملل التحدث في أعراض الناس، والتحدث في اليوميات المكررة، وترك سفاسف الأمور..

ثم يبدأ بالتفكير: مثلما يتزوج الدكتور الدكتورة، ويتزوج المهندس المهندسة، فلماذا لا يتزوج القارئ القارئة، ويتزوج المثقف المثقفة؟

لكنه في المقابل تجده يخشى من المرأة المثقفة.. يخشى من أن تكون ثقافتها غطاءً للتحايل على الرجل.. ويخشى من كيدها.. يخشى من أن تستخدم الثقافة كوسيلةٍ للسيطرة والتمرد باسم الانفتاح والحرية والرفض لكلّ قديم.. وطلب الجديد لأنه جديد فقط.. ورفض أعمال البيت باسم الحداثة.. يخشى من أن يكون التمرد والنشوز والتقليد هي الثقافة بنظرها. ثم يبدأ بالتساؤل كيف للمرء أن يستطيع التمييز بين المرأة المثقفة حقًا، والتي تحب القراءة، وتعرف واجباتها وحقوقها جيدًا، وبين التي تدّعي ذلك، ولا تعرف إلا المطالبة بحقوقها، وتنسى واجباتها والتزاماتها؟

أعتقد بأن الأمر بالغ الصعوبة، وما عليه إلا أن يوكل الله في ذلك، ويطلب دعوة الوالدين عند اختياره، ولا يعتمد فقط على حواسه أو ذكائه المحدود في الاختيار، فقد تخطئ الحواس، ويختار اختيارًا سيئًا. ومهما تفلسف المرء في الزواج فأنسب ما في الزواج قد قيل: "قسمة ونصيب".

***

لماذا تشتكي من سوء فهم الآخرين

البعض منا يمتلك إيجابيات كثيرة في حياته ولا أحد يعلم بها إلا هو، لأنه ببساطة لا يظهرها لأحد.

وتبقى تلك الإيجابيات موجودة فقط بذاته، ولا يحاول إخراجها للناس، ومن ثم يقوم بالسخط على الآخرين لأنهم لا ينظرون إلى إيجابياته التي يحملها وينظرون فقط إلى سلبياته.

وهنا يقع في الخطأ من حيث لا يشعر، لأن الناس ببساطة، لن تدخل إلى قلبك ولا إلى قلب شخص آخر..

فحاول أولًا أن تخرج طيبتك من الداخل وتترجمها إلى سلوك يومي في حياتك؛ لأن الجميع يهتم ويحكم بما يرى في الظاهر، وينسف بعرض الحائط كلّ ما يُخفى في القلوب.

وغالبًا ما تحدث مشاكلنا بسبب سوء الفهم.

سواء كانت في الحب، أو في الدين، أو في الفكر، أو في علاقاتنا وصداقاتنا. تجد شخصًا في وادٍ والآخر يفهم في وادٍ آخر.

حتى الكتب المقدسة تعرضت لسوء الفهم، وهذا هو السبب الرئيسي لتصادم البشر وتعارضهم في الحياة.

***

رسالة من رجل كادح

لا يُمكن للإنسان أن يتحدث عن أحزانه بتلك السهولة التي نتصورها. فأنا لا أستطيع حتى أن أبوح بها عندما أكون بمفردي خشيةً من مضاعفة العذاب، فإن مشقة الحياة تظهر على الكادحين من أمثالي، وتلك هي العلة التي لا تجعلنا نشتكي ونبوح بالتحدث إلى البشر عن متاعبنا..

فكلّ شيءٍ ظاهر على وجهي.

لكني لا أعلم لماذا لا يفهم أولئك المترفون ذلك؟

بل ويتمنون حياةً كحياتي!

حتى إنهم لا يتوقفون عن التحدث عن سعادتنا.

عن أيّ سعادةٍ يتحدثون؟ لا أعلم؟

إنهم يحسدون الأعمى على طول عكازه.

يا لروعة عكازه الخشبي!

وتناسوا أنه أعمى ضرير.

* * *

الرحيل

لم أكنّ أعلم بأنك بهذا المكر والدهاء.. رغم ذلك ارحل غير آسف عليك فصدقني لن أذرف دمعة واحدة على فراقك.. ولن أحزن.. لأني ببساطة لا أخشى الحزن.. و أنتظر الحزن.. تمامًا كما أنتظر السعادة.

والحزن والسعادة مقرونان معًا.. ولن يكون هناك حزن دائم بحياتي.. ولا سعادة دائمة.. سواء كان ذلك بوجودك أو بعدمه.. والتغيرات التي أمر بها في حياتي.. لن تؤثر عليّ.. ولن تهددني.. وما تزيدني إلا قوة.

***

العبودية لله وحده

إنها لا تحبني لذاتي.. وما تحب إلا حبي وضعفي لها.. يغريها هذا التعلق الشديد بها كأنها الوجود كله.. تحب أن ترى من يغفر لها ويسامحها في كلّ شيء.. ومن يبقى بانتظارها بعد كلّ غياب.. ومن يسهر ويتعذب من أجلها..

إنها تريد لك العبودية والتملك والخنوع لرغباتها باسم الحب.. هدفها إخضاعك إلى إرادة الحياة.

ومن هنا يا إخواني فقد حولت حبي عن بني البشر واتجهت بحبي نحو الله.

فهو الوحيد المستحق لهذه العبودية والتملك والتفرد.. وهو الوجود كله ونحن الفناء والعدم.. وحبي له يزيدني قوةً وثباتًا.. لا ضعفًا ووهنًا واستسلامًا.

***

إرادة الحياة

نحن نعيش داخل سجنٍ مظلمٍ كبير.. مكبّلين بالقيود.. مقيّدي الحركة

نعيش خلف أبوابٍ مظلمةٍ معتمة.. ونحن السجن بحد ذاته ولا نشعر.

نمتلك الإرادة والمشيئة الإلهية نعم.. لكنها إرادة معطلة بإرادتها.

الحياة القاسية.. وما تفرضه علينا من قيود.

الحياة تريد أن تخضعنا إلى إرادتها.. لتدمر حريتنا.. وتقضي على

أحلامنا.. وطموحاتنا.. وأهدافنا..

الحياة لها إرادة.. وإرادتها قاسية جدًا.. ويمكنها أن تدمرنا.. وتنهي حياتنا، بفعل الضربات والكدمات والصدمات التي نتعرض لها كلّ يومٍ وكلّ دقيقة.. وكلّ لحظة.

ولا سبيل للتخلص من هذه القيود والاستفادة والتعلم منها إلا بالإدراك.. وبالوعي.. وبالمعرفة.

***

المرأة العبقرية

المرأة مهما بلغ فيها شدة الذكاء فهي لا تستطيع أن تكون عبقرية، وقد تتفوق على الرجل في الذكاء الدراسي، وتمتلك قدرات فائقة في تأدية المهام الموكلة إليها، ولكنها لا تستطيع أن تكون عبقرية.

ومعظم العباقرة كانوا من الرجال أمثال أينشتاين، ونيوتن، وأديسون، و ابن خلدون وغيرهم.

وقد عرف عنهم مخالفتهم للسائد والمتعارف عليه بين البشر، وكانوا يلقون الرفض من المجتمع ومن متوسطي الذكاء بشكل دائم.. ثم أثبتت الأيام أنهم كانوا على حقٍ وكانوا متقدمين على عصرهم واستطاعوا التغيير بعد ذلك.

أما المرأة فهي في الغالب تنظر إلى الأمور من خلال عواطفها ورغباتها الشخصية، ولا تهتم بتغيير البشرية، ولا تستطيع مخالفة المألوف نظرًا لبيئتها وطبيعة تكوينها، ونجدها ميالة للاستقرار، والسير بالأمور على نفس الرتم والرتابة.

بينما العبقرية عكس ذلك وتعني التجرد من الذات وكسر حجاب المألوف واختراق أسر العادة.

والعبقري هو الذي تغلب عليه المعرفة على حساب الإرادة، ويتجرد تجردًا تامًا من إرادته، وينسى ويهمل رغباته واحتياجاته الشخصية على

حساب زيادة معرفته، وينظر إلى الأشياء التي نراها نحن مألوفة بشكل آخر غير مألوف، ويبدأ بطرح التساؤلات، محاولًا إيجاد الحلول للمشاكل التي يعاني منها الإنسان، ويشعر بأن لديه مسؤولية، وحملًا ثقيلًا ورسالةً يجب إيصالها للناس.

والمرأة لها خوارق أخرى لا يستطيع الرجل عملها.

وعبقريتها تكمن بقلبها وبصبرها، وليس الذكر كالأنثى على كلّ الأحوال، والاختلاف بينهما هو عين الكمال، والعلاقة بينهما علاقة تكامل، وليست علاقة تفاضل.

وقد يحدث أن نجد من النساء من تفكر على طريقة العباقرة، وتفكر بشكلٍ غير مألوف، وتخالف السائد، ليس لمجرد المخالفة، والظهور فقط على سبيل قاعدة "خالف تعرف".

لا.. بل من أجل إحداث التغيير الحقيقي، وتفكر بأنها لن تترك الدنيا كما كانت قبل مجيئها، وتحاول كسر حجاب المألوف، بل المألوفين معًا، كسر القاعدة بأن المرأة لا يُمكنها أن تكون عبقرية وكسر حجاب المألوف والمتعارف عليه بين البشر بشكلٍ عام.

فهي تفكر على غير العادة، وتتغير باستمرار، ولا تضعف لرغباتها، وتبتعد عن الحُب الزائف الذي يُدمر ويُضعف.

وتستمد سعادتها من العالم الخارجي الموضوعي، ومن إحساسها وفنها، ولا تحتاج إلى أحدٍ لإسعادها.

إنها تتأمل الحياة بكثرةٍ وتحاول إيجاد الحلول، ولا يكاد يهدأ لها بال من شدة التوتر والقلق في حياتها، تنتمي إلى العالم بأسره، ولا حدود لفكرها، كلّ يومٍ لها شأن ويصعب ترويضها، طموحاتها كبيرة، آمالها عظيمة، مفرطة بالذكاء والإدراك، عفوية وتحب البساطة، تحمل روحًا طفولية لكيلا تفقد حماسها وهذا هو سر عبقريتها، يظهر عليها التشاؤم، ويبطن فيها التفاؤل، تقرأ بكثرة وتفكر بالانعزال عن المجتمع، تتألم أكثر مما يتألم البشر، تعاني من الكآبة من حينٍ لآخر، حزنها عميق جدًا مقارنةً بالآخرين؛ لكنها في المقابل عندما تنجز أعمالها الإبداعية تكون سعادتها كبيرة جدًا، ولا يُمكن لأحدٍ أن يصل إلى سعادتها في تلك اللحظة.

***

كلٌ يغني على ليلاه

كلّ إنسانٍ يعتقد أنه مختلف عن الآخرين وعمله هو أعظم عمل وأعلى صورة من صور المعرفة.

الفيلسوف يرى أن الفلسفة هي أم العلوم وأكثرها تأثيرًا على الإنسان. والمهندس يرى أن المهندسين هم أخطر الناس وأكثر المجالات تعقيدًا في الحياة.

والطبيب يرى أن مهنته مقدسة وأعظم المهن وأصعبها على الإطلاق. والشاعر كذلك يعتقد بأن الشعر من صفات العباقرة، وبأنه يختلف عن الآخرين جدًا.

والفنان يرى أن الفن أعظم من العلم وفنه هو مبلغ العلم نفسه.

والواعظ يعتقد بأن مواعظه أحاديث نبوية ووحي إلهي ولا أحد يستطيع الإتيان بمثلها.

وكُلٌّ يغني على ليلاه..

وكُلٌّ يرى الأشياء من منظوره الخاص وحياته الخاصة ولا يرى الوجود كله إلا في نفسه.

ويعتقد بأنه يرى الأشياء على حقيقتها.

وماهي إلا آراء وتركيبات للنفس وأمنيات وليست من الحقائق في شيء.

والحقيقة أن كلّ إنسانٍ مهمٌّ وكلّ شخصٍ لديه ذكاء من نوع خاص. والغبي هو الذي يعتقد بأنه أذكى من غيره في كلّ شيء.

ولا أحد يستطيع الاستغناء عن الآخر.

والاختلاف بين الناس والتنوع هو عين الكمال. والله قد سخر الناس بعضها لبعض.. قال تعالى:

((ليتخذ بعضهم بعضًا سخريًا)) الزخرف ٣٢

***

حوار أحمد وصديقه سمير

أحمد مخاطبًا صديقه سمير: ألم أقل لك يا سمير أنك لن تستطيع معي صبرًا، ولن تفهم ما أشعر به؟

أنا مثل بني إسرائيل لا أستطيع الصبر على طعامٍ واحد، أو فكرٍ واحدٍ أو حبٍّ واحد، حتى امرأة واحدة لا أستطيع الصبر عليها، وأريد التجديد دائمًا... فما الحل يا صديقي سمير؟

سمير: الحل أن تتبع طرق المتصوفة وأن تجاهد نفسك فأنت إنسان وتستطيع ترويض النفس من الشهوات والتحلي بالفضائل والابتعاد عن الرذائل، تستطيع ذلك إذا امتلكت عزيمةً وإرادة.

عوِّد نفسك على الصبر يا صديقي، فنحن هنا ليس لنفعل ما نشاء، وهناك قواعد يجب أن نسير عليها.

أحمد: إنك تخاطبني بطريقة الوعاظ، وهذه طريقة غير مجدية، ودائمًا ما نستمع إلى المواعظ مع ذلك لا نتغير.

أريد خطابًا مقنعًا للنفس.

كيف يخلق الله الجمال ويريدنا أن نمتنع عنه؟!

كيف يخلق الله الأطعمة ويريد لنا الصبر على طعامٍ واحد؟

سمير: أنا أفهمك يا صديقي أحمد وتساؤلاتك مشروعة.

والله سبحانه وتعالى لديه علم إحاطة وهو يمنعنا من الأشياء خوفًا على سلامتنا. نحن لا ندرك ولا نرى الأشياء على حقيقتها لذلك لا نستطيع الصبر، لكن عندما نتعرف على الحكمة من المنع.. حينها سنفهم أن ذلك لم يكن تسلُّطًا وإجبارًا بل كان من أجلنا.

فالله يخاف علينا كما يخاف الوالدان على أطفالهما ويمنعانهم من الذهاب إلى الأماكن الخطرة، خوفًا عليهم وليس عقابًا لهم.

ففكرة الصبر على الأشياء يا صديقي تأتي من سعينا للإحاطة والإلمام بجوانب الوضع أو الظرف الذي نمر به حتى نتمكن من فهمه وبالتالي نستطيع الصبر.

***

حوار المجرمين

أحد المجرمين يتحدث: لماذا نحن في هذا المكان؟ من جاء بنا إلى هنا؟!

مجرم آخر يرد عليه: لست وحدك هنا لا تقلق.. كلّ الطغاة من أمثالنا هُنا..

ويقوم بذكر أسمائهم.

يعود المجرم الأول ويتحدث: وهل سنستمر هنا كثيرًا؟ لم أعد أحتمل البقاء.

يرد المجرم الآخر: اسكت لا أحتمل سماع صوتك. هل نسيت كلّ ما فعلت؟ أنا لم أنسَ وكنت أخشى هذا اليوم.

يتحدث المجرم الأول: ولماذا نحن فقط هنا؟ أين...؟

ويقوم بذكر أسماء آخرين وكان يعتقد بأنهم مجرمون كأمثاله، ويتعجب لماذا لا يكونون في النار مثله؟!

يرد عليه المجرم الآخر: إنهم هناك في الجهة المقابلة لنا ينعمون ويضحكون ونحن هنا لا نستطيع حتى أن نتنفس وأكاد أختنق.

المجرم الأول: ولماذا لا يأتون إلينا؟ فقد كنا نراهم على باطل وكانوا مجرمين.

يعود المجرم الآخر ويتحدث: أنت ما زلت إلى اليوم لا تعترف بخطئك ولا تريد أن تعترف بأنهم كانوا على حق، لقد قتلت وحدك ستين ألف مواطن بريء في يوم.

فماذا كان ذنبهم؟

هنا لا أحد يسمعنا ولا أحد ير انا ولا حتى يدرك من نكون.

ثم يحدث أن يستمعوا إلى صوتٍ من بعيدٍ يتحدث إليهم ويبدو أنه صوت أعمالهم وصوت ضمائرهم: "أنتم من اخترتم لأنفسكم هذه النهاية.. لقد عرض عليكم ربكم الرحمة.. والحكمة.. ورفضتموها بمحض إرادتكم.. واخترتم التكبر والتجبر.. نفوسكم من نارٍ وتحب النار ولا تستطيع العيش إلا في بيئتها.. لذلك أنتم هنا إلى الأبد فهذا اختياركم منذ البداية".

***

الاخـــتيار

إلهي لقد أردت شيئًا ولا أعلم إن كان ذلك الشيء خيرًا أم شرًا.. لا أعلم إن كانت مشيئتي تتوافق مع مشيئتك أم أن لي مشيئةً حرّةً واختيارًا حرًا، فأنا لا أشاء إلا ما تشاء أنت.. ولا أختار إلا ما اخترت أنت.. وأنت الذي تختار لي وكلّ اختيارٍ من عندك خير.. وأنت الذي تحكم ونحن لا نحكم وأنت الوجود كلّه ونحن الفناء والعدم.

إلهي إن كان ذلك الشيء الذي أردته خيرًا ولا يغضبك سوف تعيده إليّ وترحمني.. لأني إنسان ضعيف وعبد لما تعودت فقد تعودت عليه.. وإن كان ليس لي نصيب في ذلك سوف تعيده إليّ بشكلٍ آخر وهو الشكل الذي تحبه أنت.. بالشكل الذي تريده أنت.. وإن كان شكله في الظاهر شرًا.. لأن الشر من عندك خير، والخير من عندي شر.

إلهي إني أخاف أن تخالف مشيئتي مشيئتك وأن يخالف اختياري اختيارك وأخشى أن أكون حرًا وأستغني عنك وأتفرد وأصدر الأحكام بمفردي.. لأني ضعيف ولا أرى الأشياء على حقيقتها وقد خُلقت من عجلٍ فكيف لي أن أختار وأصدر أحكامًا بمفردي.. نظري لا يتعدى المحدود الذي أمامي وما أراه بعيني المحدودة ليس هو الحقيقة الكاملة.. وأخشى من أن أنظر إلى الأشياء ولا أبصرها.. وأصدر أحكامًا تغضبك.. فالبصر يحتاج إدراكًا..

وأنت الذي تُدركني ولا أدركك.. وأنت الذي تعلم ما بنفسي ولا أعلم ما بنفسك.

إلهي إني أخشى من علمٍ زائفٍ يجعلني أستحي من ذكر اسمك ويجعلني أستحي من أن أدعوك وأجاهر بالملأ بأني أحبك وبأنك الله ربي الذي أومن به والذي أخشاه.. من علم يجعلني أقرأ في الشرق والغرب وأنسى كتابك الذي بين أيدينا والذي اتخذناه مهجورًا.

إلهي أنت الذي طلبت منهم أن يعلموا.. وأن يقرأوا ويتدبروا.. ويتفكروا ويسيروا في الأرض وينظروا ويتأملوا كيف بدأ الخلق..

فلماذا ينكرون ذلك؟

وأنت القائل: ((قل انظروا ماذا في السماوات والأرض)) يونس ١١١

والقائل: ((وقل رب زدني علمًا)) طه ١١٤

فزدني علمًا يا رب من عندك وليس من عندهم.. من علمك وليس من علمهم.. فأنت الذي تعلم وهم لا يعلمون.

***

القضاء والقدر

كلّ شيءٍ قد خُلق بقدر.

لا صدفة ولا خوارق ولا عبث.

فكلّ نفسٍ قد خُيِّرَت.

ما بين الجنة والنار.

ما بين النعيم الأبدي والشقاء.

من كانت نفوسهم من نارٍ فقد اختاروا النار.

من كانت نفوسهم طيبة فقد اختاروا الجنة.

فكلٌّ قد اختار بيئته.. والمكان الذي فيه يتعذب أو يرتاح.

فلا إكراه ولا تسلّط ولا إجبار.. و إنما هو علم إحاطة.

المؤمن اختار الرحمن والرحيم... المجرم اختار المتكبر والجبار.

الفنان اختار المصور والبارئ... فكلٌّ قد اختار بدون تدخُّل أو إجبار.

في أيّ طريقٍ تذهب لن يكون قدرك إلا صورة من اختيارك.

سيكون قدرك من جنس إرادتك ومشيئتك التي اخترتها.

إن كان اختيارك خيرًا يزدك الله خيرًا..

وإن كان اختيارك شرًا يزدك الله شرًا..

ونحن لا نقابل إلا اختيارنا في طريق القدر.

السعادة بقدر، والحزن بقدر، نصيبك من الدنيا بقدر، لا زيادة ولا نقصان وهذا هو القدر المعلوم، لا عبث في الوجود، لا صدف في الكون، هناك إله يُسيِّر الخلق، يُعطي ويأخذ بقدر، والحكم كلّه له.

ونحن لا نحكم إلا بقدر ما نعلم وهو القدر الذي نحاسب عليه، والخوف كلّه والخشية يجب أن تكون لله. ((فلا تخشوهم واخشوني)) البقرة ١٥٠

لأنه الله الذي خلقنا، هو الذي سوف يحاسبنا على أعمالنا؛ لذلك يجب أن نخشاه.. وهو سوف يرحمنا لأنه الرحمن الرحيم.. هو الذي يختار لنا الخير وما علينا إلا أن نثق في ذلك.. لأننا ضعاف يجب أن نستند ونتوكل على القوي.. لأننا بشر نصيب ونخطئ يجب أن نعتمد على الحق الذي لا يخطئ.. لأننا نموت ونحيا وهو الحي الذي لا يموت.. لأننا نبحث عن النجاة وعن السير وفق الصراط المستقيم يجب علينا ألا نتبع السُّبُل ونتفرق ونفشل، وأن نعود إليه ونحاول رسم صراطنا المستقيم ومن ثم نبدأ بالسير عليه بخطى ثابتة حتى نصل إلى المنتهى.

***

الوصول إلى المنتهى

_ ما هو هدفك في الحياة؟

_ أن أصل إلى المنتهى.

_ وما هو المنتهى؟

_ هو آخر ما يصل إليه الإنسان من علم.

_ وكيف تصل إلى المنتهى؟

_ بالقراءة، ومن ثم السير في الأرض.

_ وكيف تتوصل إلى الحقائق؟

_ بالبحث عن المعرفة، كما يبحث الجائع عن الطعام.

_ ما هو الحب؟

_ الحب هو الرحمة وإذا لم يشتمل على الرحمة سيتحول إلى كراهية مفرطة.. وأعظم حب نصل إليه هو حبنا لله سبحانه وتعالى..

_ كيف أعلم بأن الله يحبني؟

_ عندما يبعدك عن سفاسف الأمور ويشغلك بما ينفع.

_ وما هي سفاسف الأمور؟

_ سوف تتعرف عليها بنفسك عندما تصل الأربعين وتندم على ضياع عمرك. وتعلم بأنك لم تكن تطارد إلا وهمًا كبيرًا.. خيطًا من الدخان لا تستطيع الإمساك به.

_ كيف يمكن أن أتجنب ذلك إذًا؟

_ أن تتعرف على نفسك. فكلّ شيء ينبع من الداخل إلى الخارج.

_ وكيف أتعرف على نفسي؟

- بالغوص في أعماقها.. ومحاولة كشف أسرارها.. ومعرفة ما يميزها.. فكل نفس لا تخلو من ميزة.

نحن هنا من أجل العودة إلى الله، بالمعرفة وبالعمل والإيمان فقط نستطيع أن نَنفَذ من أقطار السماوات والأرض ونعود إليه.

نحن هنا في رحلة للسير نحو الله أدركنا ذلك أم جهلنا وتذكرنا أم نسينا، الكل سائر إليه طوعًا أو كرهًا، حتمًا سنصل إليه.

قال تعالى: ((يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحًا فملاقيه)) الانشقاق ٦.

كلّ ما في الكون مسخر من أجلنا، ولدينا إرادة ومشيئة حرّة، ومنها نستطيع أن نطلب الحكمة وهي عائدة إلى مشيئتنا.

بمقدور الإنسان أن ينتزع الحكمة نزعًا بالبحث عن المعرفة.. كما يبحث الجائع عن الطعام.

الكتب مرحلة أولية في جمع الحقائق وهي مرحلة "اقرأ".

والقرآن قد أعطانا إشارات عن الحياة.. ومن ثم أمرنا بالسير في الأرض ومعرفة بداية الخلق حتى نصل إلى المنتهى، وهي آخر مرحلة من مراحل البحث، وهي آخر ما ينتهي إليه الإنسان من علم، والعودة إليه سبحانه.. ((وأن إلى ربك المنتهى)) النجم ٤٢

***

الموت والحياة

الكلّ سيدركه الموت... لكن ليس الكلّ يدرك الحياة..

هم أموات ولكن لا يشعرون ولا اختيار لهم.

ستفقد السيطرة على نفسك عندما تصبح وعاءً فارغًا..

جسدًا بلا روح... بلا حقيقة.. بلا معرفة.. بلا اختيار.

تفقد السيطرة على الاحتواء بنفسك.. وكأنك أصبحت لا تعرفها...

فإنك بالكاد ميت.. فات الميعاد.. ماتت الحياة.. أموات ولكن لا يشعرون.

***

الإرادة والمشيئة

قال تعالى: ((لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر)) المدثر- ٣٧

الإرادة نمتلكها نحن ونطلبها نحن وبمقدار ما نعلم تزداد حريتنا ويزداد اختيارنا. لا إجبار ولا إكراه ولا تسلُّط. فكلٌّ قد اختار بيئته، والمكان الذي فيه يتعذب أو يرتاح. الله سبحانه وتعالى يقضي على كلّ إنسانٍ من جنس عمله ومن جنس اختياره.

إن كان في قلبك مرض فسيزيدك الله مرضًا، وإن كنت تُريد حرث الآخرة يُزد لك في حرثك.

لذلك عليك أن تختار وأن تتجنب عدم الاختيار والوقوع في المنتصف دون إرادة حرة. أن تقف بمكانك دون اختيار يعني ذلك بأنك قد اخترت أن تتأخر وهذا هو أسوأ الاختيارات..

حريتك واختيارك يزدادان بمقدار ما تعلم.. وينقصان بمقدار ما أنت فيه تجهل.

لديك المشيئة منها تنزع الحكمة.. وهي النور التي في القلب تُقذف. منها ترى الأشياء على حقيقتها .. وتدرك ما لم يكن من قبل يُدرِك. بالعلم وحده تستطيع أن تَنْفَذَ .. وكلّ ما في العقل من زبد وهمٌ يذهب.

***

التكنولوجيا والإنسان

التكنولوجيا تتقدم والإنسان يسخط، زادت الرفاهية ولم نصل إلى السعادة، كلّ شيءٍ أصبح ميسرًا لكننا نتعب أكثر، والإنسان يشتكي أكثر.

الناس تتحدث بكثرةٍ ولا أحد يسمع، أصبحت الكآبة مرض العصر.

برغم كثرة الأشياء من حولنا..

كثرة البرامج..

رجال الدين..

مو اقع التواصل..

الأسواق..

المنتديات..

كثرة الوعاظ..

فإننا أصبحنا أقلّ بكثيرٍ مما كنّا عليه ولم تعجبنا الكثرة وألهانا التكاثر. وكأنّ الحياة لا تعطينا شيئًا جديدًا دون تكلفة.. وتكلفة التكنولوجيا والتّقدم نزع الرضاء والسعادة وزيادة الأمراض وحالات التذمروالسخط والكآبة.

في عصر التكنولوجيا وتبادل المعلومات.. الأشياء تأتي إلينا بسهولةٍ وتذهب منا بنفس السرعة والسهولة.

نحصل على المعلومات بكلّ بساطةٍ وتذهب ببساطةٍ أكبر وسرعان ما ننساها.

إننا نحتاج إلى أن نتعب أكثر ونبذل جهدًا أكبر مما نحن عليه الآن.

نحتاج إلى معاناةٍ وجهدٍ أكبر للحصول على المعرفة ولضمان بقائها لمدّةٍ أطول.

الله سبحانه وتعالى لا يعطينا شيئًا بدون مقابل.. لقد أعطانا سهولة الحصول على المعلومات وأخذ منّا طول بقائها.

وفي هذا العصر تقدمنا وتطورنا ودخلنا في الحياة المدنية، وزاد العزوف عن الزواج وزادت المغالاة في المهور، وقلّد الناس بعضهم بعضًا وضاعت الكثير من العادات الجميلة التي كنا نمتلكها.

دخلنا الحياة المدنية وكان للدخول كلفة وأضرار، ولم نعد نستطيع العودة إلى العادات الإيجابية التي كانت موجودةً من قبل من بساطةٍ وتسهيلٍ في الزواج ومن تعاونٍ وتكافلٍ اجتماعيّ، وزاد التعقيد وضاق الناس وتقدم الإنسان في جانبٍ وتأخر في جانبٍ آخر.

وفي عصر السرعة وعصر التقدُّم أصبحنا نهدر الوقت في أشياء أقلّ أهمية، ومن ثم نتذمر ونسخط على أنفسنا وعلى ضيق الوقت.

لا أعلم ما الحكمة من اختلاق الأعذار و إيجاد المبررات باستمرار وإعفاء النفس من المسؤولية والتهرب من المواجهة، والتهرب من السؤال..

من أنا؟ ولماذا جئت؟!

وماذا أريد؟

وما هدفي في الحياة؟

وإلى أين الخلاص؟

وإلى أين المنتهى؟

والمسير؟!

أيها الإنسان اعرف نفسك، واخلُ بها، وغُص في أسرارها..

وتساءل ما النفس وما العقل وما الحياة وما العمر..

ولا تنس أن من عرف نفسه فقد عرف ربه وفهم الحياة.

تعرف على نفسك جيدًا..

فكلّ شيءٍ ينبع من الداخل إلى الخارج.

من قبل أن تمضى الأيام وأنت تبحث عن الحب كما في السينما ولا تجده ويصبح كلّ حديثك هو حديث البرامج.. والإعلام.. والموضة.. والحداثة.. ولا سعادة تحصل عليها ولا منتهى ولا إشباع ولا وصول لما تُريد.

لا جديد تحت الشمس

هناك حكمة قديمة تقول: "لا جديد تحت الشمس".

كلّ فكرة جديدة هي محصلة أفكار قديمة..

الحب هو الحب، والقتل هو القتل، فقط تغيرت الكيفية..

الصراع موجود منذ الأزل وتطور الإنسان في إحداثه..

كان المحتل الغازي يكتسح الأرض بسكانها ويحول أهلها إلى عبيد، ثم تطور الصراع وأصبح الغازي يكتفي بنهب الأرض ويجعل سكانها أحرارًا.

ثم تطور الصراع إلى ما نحن فيه اليوم، المحتل يستولي على ثروات البلاد دون تدخل في الأرض ويجعل الحروب فيما بينهم.

الفكرة واحدة هي الغزو ونهب الثروات والصراع واحد..

فقط تطور الإنسان وتفنن في إحداثه و ابتكر أساليب حديثة في الصراع.. الأيام واحدة، ولا اختلاف في الناس، والحياة لمن غلب.

استبدلنا بحروب السيوف والحجارة حروب الصواريخ والنووي..

استبدلنا ركوب القطار، بركوب الحمار والمواشي..

استبدلنا بالمجهود العضلي المجهود الفكري، والجهد هو الجهد.. كان الوصول إلى المرأة بالقوة، واليوم بالغزل وأشعار الحب..

اختلفت وتعددت أساليب الخداع، والخداع واحد والإنسان لم يتغير... والذكي من يعرف كيف يُخفي مصادر معلوماته، وكأنها اكتشاف جديد لمن لا يعلم، وهي في الأصل فكرة قديمة، فقط حصل لها تطور، ولا جديد تحت الشمس.

الجميع يتحدث ولا أحد يسمع

الخطيب في المسجد يعظ ولا جدوى ولا جديد في كلامه..

والمصلون يخرجون من صلاة الجمعة كأنهم خارجون من زنزانة..

من شدة الملل والتكرارولا جديد في المواعظ.

المعلم يسخط من التعليم ومن سوء أحواله..

ثم نجد منهم من يخون أمانته ويزيد من سوء التعليم.

الفنان يذم الفن ويصفه بالهابط.. وهو نفسه من يقوم بتلك الفنون.

المثقف ينتقد المجتمع ويصفه بالمتخلف والجاهل وينسى بأنه جزء من هذا المجتمع.. ولو وكلنا إليه المهام لتنازع مع المثقفين من أمثاله وما فلحوا. الجميع يصرخ ويشتكي ليتهرب ويعفي نفسه من المسؤولية ويتفنن في طرح المشاكل بأساليب وأشكال مختلفة ولا أحد يحاول إيجاد حلولٍ لها، وكلّ شخصٍ يعتقد بأنه المنقذ الوحيد وسوبرمان عصره..

ولو وُكِّلت إليه الأمور لانتهت المشاكل والحروب، ولا يجد نفسه جزءًا من المشكلة، وننسى بأننا جميعًا رعاة وكلّ راعٍ مسؤول عن رعيته.

ثم يحدث ونتفاجأ تمامًا ونكتشف بأن المحامي الموكّل إليه بحفظ العهود والأمانات مُرتشي وحرامي ويزور العقود..

والمثقف المسؤول عن وعي الأفراد غشاش ويسرق أفكاروأحلام الشباب ويُزيّف وعيهم ويعطيهم وعودًا زائفة..

والمشايخ والوعاظ الذي من المفترض أن يُوجهوا الأمة أصبحوا وعاظ سلاطين وعبيد سُلطة ولا يوجهون إلا رعاعًا وقطعانًا من الأغنام..

والدكتور الشيك المحترم غشاش ويستغل ظروف المرضى في الأزمات ويبتزهم بعمليات وكشوفات كاذبة..

والسياسي الذي من المفترض أن يصلح أوضاع الناس نجده يصلح أوضاع نفسه ويهدم أوضاع وطموحات شعبٍ بأكمله..

والضابط الموكّل إليه بحفظ النظام والقانون هو أول من يخالف النظام ويخترق القانون..

وأصحاب حقوق الإنسان هم من يأكلون الإنسان ويتاجرون باسمه.

ويبقى السجين هو المتورط ظاهريًا فقط والمجتمع كلّه مجرم وفار من وجه العدالة.

وهكذا تتعدد أساليب وأشكال الخداع.. ويبقى الكذب والخداع واحدًا بطرق مختلفة.

هكذا تمر منا السنوات وتفنى.. ويمزق القلب العذاب.. ونحن من ملجأ إلى ملجأ..

ومن رحلة إلى رحلة.. ومن حوار إلى حوار.. ومن حرب إلى حرب.. نحاول الخروج من الغرف المظلمة.. والعودة مجددًا إلى النور المشرق..

ولكن لا جدوى..

نعاني من اعتقادات مغلوطة..

أفكار منحرفة..

حقائق مزيفة..

تدين متطرف وشكلي..

سياسات مدمرة..

وعي مسروق وتشتُّت فكري..

وما وصلنا إليه من سوء أحوال ليس إلا دليلًا على ذلك.

***

الفهرس

اعتذار	٥
فكر بعقلك لا بعقل غيرك	٦
الألم	٧
الوقت	٨
التعلم	١٠
افتح النوافذ وجدد فكرك	١١
الكتمان من أسرار النجاح	١٢
لا تستهينوا بالكلمات	١٣
البساطة أعمق من التعقيد	١٥
ببساطة أكثر تصل أسرع	١٧
كيفية الشعور بالسعادة ببساطة	١٨
الحب الذي لا يدوم	٢١
الحب في زمن السينما	٢٣
اللذة في الحب واستمرارها	٢٦
الرحمة أعمق من الحب	٢٨
الأذواق المتشابهة في الحب	٣٠

الحب من طرف واحد	٣٢
المغامرات في الحب	٣٤
الخوف من الارتباط	٣٦
تجنب الانهيارات في الحب	٣٧
الجاذبية والحب والرحمة	٣٩
أنواع الرجال	٤٠
وعند الاختيار تذكر	٤١
السعادة الإنسانية	٤٣
سوء الحظ	٤٦
الفشل والنجاح	٤٧
الإنسان ما هو؟	٤٨
الانسان الطيب والمغرور والجبان	٥٠
التشاؤم والإحباط	٥٢
الصعوبات التي نواجهها	٥٦
سر التفوق والإبداع	٥٨
دورة حياة الإنسان	٦٠
تقديم النصائح	٦٢

السير في الأرض	٦٤
الحروب أكبر معلم للبشرية	٦٧
التغيير ومحاولة إيجاد الحلول	٧٢
الإسلام والإجرام	٧٦
الحقيقة الكاملة الناجزة	٧٨
أنواع الحقائق	٨٠
حقائق مرهقة .. أكاذيب مريحة	٨٢
هل نرى الحياة على حقيقتها	٨٤
جهنم الصغرى	٨٦
خط الرجعة وإمكانية العودة	٨٨
آراء وليست حقائق	٨٩
القراءة	٩١
الكتابة	٩٤
الهارب من السعادة	٩٦
الخوف من النهايات	٩٨
المرأة العميقة	١٠٠
استيقظ إنهم يسرقونك	١٠٣

الإصلاح في الوضع الراهن	١٠٤
الإنسان بين الشرق والغرب	١٠٥
المرأة المثقفة	١٠٦
لماذا تشتكي من سوء فهم الآخرين؟	١٠٧
رسالة من رجل كادح	١٠٨
الرحيل	١٠٩
العبودية لله وحده	١١٠
إرادة الحياة	١١١
المرأة العبقرية	١١٢
كلٌّ يغني على ليلاه	١١٥
حوار أحمد وصديقه سمير	١١٧
حوار المجرمين	١١٩
الاختيار	١٢١
القضاء والقدر	١٢٣
الوصول إلى المنتهى	١٢٥
الموت والحياة	١٢٧
الإرادة والمشيئة	١٢٨

التكنولوجيا والإنسان ١٢٩
لا جديد تحت الشمس ١٣٢
الجميع يتحدث ولا أحد يسمع ١٣٤
الفهرس ١٣٧
رسالتنا ١٤٢

رسالتنا في المكتبة العربية للنشر والتوزيع:

- نشر كل إنتاج إبداعي ذي جودة عالية و أفكار أصيلة تعبر عن هويتنا العربية وتاريخنا العريق، تحترم قيم مجتمعنا ومعتقداته، لا تساعد في نشر العنف أو العنصرية، ترسّخ لمبدأ المساواة والحرية والعدالة. والسعى نحو الارتقاء بالأدب العربي في كافة مجالاته، والوصول به نحو العالمية.

لمراسلتنا بشأن نشر الأعمال الأدبية

arabiclibrary2017@gmail.com

صفحتنا على موقع الفيسبوك

facebook.com/arabiclibrary2017